القرآن الكريم
من منظور الثقافة الشعبية

السفير الدكتور / عبدالله الأشعل
الطبعة الأولي
القاهرة ٢٠١٨

السفير الدكتور / عبد الله الأشعل
مساعد وزير الخارجية الأسبق
عضو المجلس الأعلي للشؤون الإسلامية
المستشار القانوني لمنظمة المؤتمر الإسلامي

القرآن الكريم
من منظور الثقافة الشعبية

الطبعة الأولي

القاهرة ٢٠١٨

الفهرس

المقدمة

١- التأويل فى القانون والقرآن الكريم
٢- التدين المعكوس والتدين المنقوص
٣- الثقافة القرآنية بين التفسيرات الشعبية والرسمية
٤- الجبر والاختيار فى الثقافة الشعبية
٥- الجهاد القرآنى والجهاد الجاهلى
٦- معني الجهاد في الثقافة القرآنية
٧- الخرافات الدينية فى الثقافة الشعبية
٨- علاقة الدنيا بالأخرة فى الثقافة الشعبية
٩- القدس بين الطابع الدينى والطابع السياسى
١٠- تجديد الخطاب الدينى فى الثقافة الشعبيية
١١- خصائص الثقافة الشعبية القرآنية
١٢- دلالة الخطاب في النص القرآني
١٣- فى أسباب تشوه الثقافة القرآنية الشعبية
١٤- مخاطر تشويه الدين بالإيهام بالتخصص فيه
١٥- مركز الرجل والمرأة فى القرآن والثقافة الشعبية
١٦- مكانة الرسول فى القرآن والثقافة الشعبية
١٧- دور الضمير والقانون فى ضبط السلوك فى مصر
١٨- الطبيعة البشرية للرسل و تحصينها فى القرآن الكريم
١٩- الوحدانية أبرز ركائز القرآن الكريم

المقدمة

هذا الكتاب هو مجموعة مقالات حول كيف فهم العامة أحكام القرآن الكريم. وهو استكمال لسلسلة الكتب التى تشكل مشروع الدراسات القرآنية والذى قدمنا فيه ثلاثة كتب حول القانون فى القرآن الكريم ولكن هذا الكتاب ليس امتداد من الكتب السابقة من الزاوية القانونية وإنما مجموعة تأملات فيما لاحظناه بقدر المستطاع حول موقف غير المتخصصين من القرآن الكريم. والحق أن عنوان الكتاب يجب أن يجرى فى إطاره بحث ميدانى نترك مهمته لغيرنا ممن يجيدون أجراء البحوث الاجتماعية.

وغنى عن البيان أن موقف العامة من أحكام الدين فى القرآن ولسنة كانت على مر العصور مساحة خصبة لكل من دخل هذا الباب ولكننا لاحظنا أن مصادر معرفة أحكام الدين عند العامة يجب أن تنقى وتصفى مما علق بها من خرفات كما لاحظنا أن الثقافة الشعبية والعادات قد اشتبكتب مع المفاهيم الصحيحة للدين وطبقت على أنها الدين.

ويبقى لغيرى من المهتمين فى هذا الموضوع أن يراجع مصادر هذه الثقافة وأن ينقى العلاقة بين الدين والفقه فقد لاحظنا أن بعض الفقه طبق على أنه الدين رغم أن الفقه وجهة نظر فى الدين تحتمل الصحة والخطأ.

لذلك يقدم هذا العمل بمراكز البحوث الاجتماعية والأزهر الشريف والمؤسسات الدينية والعلمية التى يهمها أن يستقر الدين الصحيح عند العامة الذين يشكلون عصب المجتمع فى جميع الدول الإسلامية.

وأخيرا ننبه إلى أن ثقة العامة فى المؤسسات الرسمية وفتواها بدأت تهتز وذلك بسبب اقتراب هذه المؤسسات من الجكم وارغامها احيانا على استخدام الدين لتبرير بعض السلوك السياسى.

ونأمل أن نختم بهذا العمل مشروعنا للدراسات القرآنية وأن ننبه الباحثين إليه حتى يستأنفوا تطويره ومسايرة الجديد مع ملاحظة أن النص الثابت ولكن المتغير هو فهم القارئ وموقوف المفتى وتغير الظروف والأوضاع التى ينزل عليها النص وبهذه المناسبة فإن الفتاوى فى العالم

الإسلامى لايمكن توحيدها وإنما يمكن مراجعتها بين المتخصصين ووضع قواعد صارمة لمن يتصدى لمسائل الافتاء.

دكتور عبدالله الأشعل وعلى الله قصد السبيل

القاهرة ٢٠١٨/٩/٥

1

التأويل فى القانون والقرآن الكريم

كلمة التأويل فى القرآن الكريم وردت ١٧ مرة (مرة واحدة فى سورة النساء ويونس والإسراء – ومرتان فى ثلاثة سور هي آل عمران والكهف والأعراف ، ثم وردت ثمانى مرات فى سورة يوسف) فقد تنوعت معانى الكلمة فى سورة يوسف بين تأويل الرؤي والأحلام وتأويل الأحاديث التى تكررت ثلاث مرات بمعنى الاخبار عن الأشياء قبل حدوثها.

وقد نالت دلالات كلمة التأويل فى القرآن الكريم القسط الأوفى من النظر والبحث من زاوية اللغة ولكننا فى هذه المقالة نتناولها من منظور مختلف ولذلك يختلف معنى التأويل فى اللغة عن معناه فى القانون. فالتأويل فى اللغة هو الكشف عن الاسباب الحقيقية للشئ أو الظاهرة وهو تعريف يقترب إلى حد ما من التعريف القانونى ولكن اللغويين قدموا تعريفاً مفهوماتياً أو فكرياً لكلمة التأويل فهى عندهم حركة ذهنية فى ادراك الأشياء والظواهر والوعى بها.

التأويل فى القرآن الكريم

يختلط التأويل بالتفسير، وانقسم الثقاة بين فريقين أحدهمالايري فرقا بينهما والثاني يري أن التأويل يختلف عن التفسير ولكنهما يتفقان علي قواسم مشتركة بينهما ولكن التفسير جاء مرة واحدة(الفرقان ٣٣).كذلك اختلف الشراح حول أيهما يشمل الآخر ويستوعبه.

وقد لاحظ الزركشي مثلا في كتابه البرهان أن التأويل ورد في مواضع عجز الإنسان والإحاطة بإرادة الله

إلى جانب المعانى السابقة وكلها علم الله الذى اعطاه لبعض خلقه وهو فى سورة يوسف تمثل معجزة يوسف وقد رأينا كيف تنوع المعنى فى هذه السورة فتارة ينبيء رفيقيه فى السجن بما سوف يأتيهما من طعام وتارة أخرى يفسر رؤيا الملك الحاسمة فى مصير يوسيف وتارة ثالثة يفسر أحلام

رفيقي السجن حيث أصبح أحدهما كما قال يوسف ساقى الملك وأما الثانى فقد تم إعدامه.

ولكن كلمة التأويل فى مرة واحدة حجب الله علمها لله سبحانه حيث قال " هو الذي أنزل الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ومايعلم تأويله الا الله،والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب – (آل عمران ٧). كما أن الله قد وجه الرسول صلى الله عليه وسلم بالنسبة للقرآن الكريم فى قراءته وفى فهمه لقوله تعالى: فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إنا علينا بيانه.

والتأويل فى هذه الحالة هو استكناه مراد المشرع وهو المنهى عنه فى هذا السياق فقد قرر الله العبادات والإيمان يقتضى عدم البحث فى مرادها لأن الإيمان غيب وطاعة.

التأويل والتفسير في القانون

أما فى القانون فإن التفسير والتأويل مطلوب فى أحوال غموض النص ويقصد بالتأويل البحث عن مراد المشرع ويتم الاستدلال على ذلك بمحاضر المناقشات المختلفة الادارية بين الوزارات والبرلمانية داخل البرلمان والمراسلات التى جرت بشأن القانون ومقارنة النص الأصلى المقترح بالنص الذى صدر به القانون لنتعرف على الفرق بين قصد المشرع وبين ما اضطر إليه من نصوص فيكون المعنى فى هذه الحالة كامنا فى الأعمال التحضرية للقانون. ولا ضيرأن يتم الكشف عن معنى النص الواضح والمتفق مع قصد المشرع ويكون التأويل فى هذه الحالة من قبيل التثبت من معنى النص ويأخذ القضاء عادة بالتأويل إذا تعارض مع النص.كما أن القضاء مختص طبعا بالتفسير في إطار عملية التقاضي ولايجوز للقضاء أن يقدم تفسيرا إلا بعد صدور الحكم القضائي وطلب أحد الأطراف تفسيره في دعوي مستقلة.

يتضح مما سبق أن التأويل فى أحكام القرآن متروك لله سبحانه وتعالى بالمعنى الذى قدمناه، أما فى القانون فيكون ضرورياً خاصة عندما يلتبس النص أو يتناقض مع نصوص أخرى أو يكون القصد خافياً على الشراح أو عند التطبيق أو فى دوائر القضاء.

2

التدين المعكوس والتدين المنقوص

ظاهرة التدين المنقوص والتدين المعكوس ظاهرة قديمة وتنطلق من التدين ومعناه التمسك بالدين ولكن الدين فى الحالتين وفى نصوصه الصحيحة يبتعد عن الممارسات وبعد هذه الممارسات تتناقض تماماً مع الدين وهذه الظاهرة تشيع فى جميع طبقات الأمة ذلك أن الأفلام القديمة كانت تجاهر بشرب الخمر وأن البطل نموذج يجب تقليده ولم يكن ذلك مستهجنا عند المتدينين فسار الناس فى خطوط متوازية ولكن فى إطار مجتمع يحترم خصوصياتهم. ومعنى ذلك أن الدين كان من الخصوصيات ولم يكن شأنا عاماً يزعم البعض أنه صاحب وصاية على الآخرين فانتشرت ظاهرة التكفير الدينى والمذهبى والتمييز بين أبناء الشرائع وهذه الظاهرة تبرز فى أحوال ضعف الأمم وترديها.

أما فى الطبقات الدنيا فكان التمسك بالدين من الناحية الشكلية أساسياً لأن المجتمع كان يحرص على هذه الشكليات وربما استندت هذه الممارسات إلى تفسير منحرف لبعض مصادر الدين مثل تلكك التى تركز على الظاهر وتترك الباطن والضمائر للخالق وهى فى الحقيقة جوهر الدين ويمكن تطبيقه إذا حسنت النوايا واستقامت المقاصد وذلك مثل الحديث النبوى الشريف "إذا رأيت الرجل يرتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان". وهذا الحديث يحض على ارتياد المساجد ولا أظن أنه يقصد حرفيا أن شهادة من يراه بالإيمان لها أهمية كبيرة لأن الدين الحق يميز بين الإيمان وبين طقوس العبادات. وكان التناقض الفادح فى نموذج فظ هو ذلك الذى أظهرته تحقيقات الشرطة المصرية من أن ضابط السجن كان يصوم رمضان ويقرأ القرآن ويقطع بين أوقات القراءة لكى يقوم بتعذيب المسجونين، ولما سئل إن كان يرى تناقضا بين قراءة القرآن وتعذيب الناس، أكد أنه يمارس مهمته وليس مسؤولا عن النتيجة.

هذه الصورة هى التدين المعكوس وذلك على خلاف التدين المنقوص الذى يعنى الممارسات الدينية التى يحاول الناس أن يلصقوها بالدين وليست

من الدين. وعلى سبيل المثال يؤدى نقص الثقافة الدينية إلى الجدل حول أبسط العبادات وهى الصلاة: هل صلاة الضحى تصح قبيل الظهر وهل صلاة العصر تصح قبيل المغرب، وهكذا الصلاوات فى نهاية مواقيتها.

هناك فريق من الناس يتخذ طقوس العبادة غطاءاً لافعالهم المتناقضة مع الدين، وهؤلاء يتعمدون ذلك ويهمهم أن يظهروا أمام الناس فى ثياب المتقين المؤمنين.

وأخيراً يضل بعض الناس فى فهم التعبد وخصوصاً الانفاق السرى ويهمهم أن يرى الناس ما يعملون ولذلك شدد الإسلام على أن العبرة بالإيمان وهو الذى يستقر فى القلب ويصدقه العمل وأن المرائين يأخذون المقابل ممن يراؤونهم وليس لهم عند الله من نصيب. وقد خصهم القرآن بآيات محددة فى محكم آياته. ويلحق بهم المطففون الذين يخسرون الميزان ويتجاهلون خطورته على ضمير الإنسان المسلم.

3

الثقافة القرآنية

بين التفسيرات الشعبية والرسمية

ذكرنا أن التفسيرات التى وضعها العلماء والفقهاء للقرآن الكريم هى اجتهادات لتيسير فهم القرآن لدى قرائه مهتدين فى ذلك بأن الرسول الكريم لم يقدم تفسيراً رسمياً للقرآن وإنما تركه مع سنته هداية للناس بينقذهم من الضلال وكانت العادة بعد كل نبى أن تضل الأقوام اللاحقة فيأتى النبى أو الرسول لكى يعيد الناس إلى الدين وهو دين واحد أصله وحدانية الله والبعث والحساب والعدل وفناء المخلوقات وديمومة الله قبل الخلق وبعد الفناء وأن الحساب على الأفعال سببه أن الإنسان يتمتع بالعقل والحرية وأنه مطمئن إلى أن الله ليس بظلام للعبيد. هذا المفهوم هو جوهر الدين والدين هو الإسلام ولما كان الرسول صلى الله عليه وسلم هو الخاتم فإن ادعاء النبوة بعده خروج عن الملة كما أن القرآن الكريم هو التعليمات الإلهية فى طبعتها الأخيرة التى لن تتغير إلى قيام الساعة ولذلك منحت العقول جميعاً مسلمة وغير مسلمة فرصة تفسير القرآن وفق أصوله الكبرى وليس التجديف وتحريف النصوص لأغراض خبيثة وهم يعلمون أن الله سبحانه الذى أنزل الكتاب قد تعهد بحفظه إلى قيام الساعة بما فى ذلك حفظه من التفسيرات المنحرفة.

وقد استقرت فى الأفهام العامة والشعبية بعض المفاهيم التى تارة تنسب إلى القرآن وتارة أخرى تنسب إلى الأحاديث والسنة أو إلى الأقوال المشهورة.

وقد أخبرنا الدكتور طه حسين فى كتابه الأيام عن نوعية التفسيرات غير العلمية التى ينشرها المحفظون للقرآن الكريم فى الكتاب والبيوت .

فقد أفتى الشيخ للفتى تفسيراً لقوله تعالى "وكنتم على شفا جرف هار فأنقذكم منها" وقال الشيخ أن الله قد ألهم والدته لكى تنتشله قبل أن تتلقفه النار فى الفرن فى قريته وكانت تلك الواقعة سببا فى بحث الفتى عن تفسير يليق بعظمة القرآن ووجد ضالته عند الأمام محمد عبده الذى لم يمهله القدر والفتى لا يزال بحاجة إلى أن يرتوى وربما كان ذلك هو الذى دفع الفتى إلى طلب العلم فى فرنسا. وقد أسهم الدكتور طه حسين فى جلاء الكثير من قضايا الفكر الإسلامى ولكنه لم يلتفت إلى اشكاليات تفسير القرآن أو ترجمة معانى القرآن إلى اللغات الأجنبية وكان فى وضع يسمح له بذلك لأنه يتقن العربية والفرنسية.

هذه التفسيرات السطحية فى بيئة تسيطر عليها الأمية تنتقل إلى الثقافة الشعبية وتتحصن بالأمثلة والأقوال السائرة حتى أصبحت جزءاً من الثقافة الدينية عند الشعوب العربية والإسلامية لأن قراءة التفسيرات العلمية تدخل فى اهتمام المتخصصين.

أما المصدر الثانى للثقافة القرآنية فهو الفتاوى التى تتناقلها وسائل الإعلام من مصادر مختلفة وتستدعى بعض آيات القرآن تعزيزاً للفتوى وكلما تخلت المؤسسة الدينية الرسمية عن دورها أو دخلت فى المجال السياسى كلما فقدت مصداقيتها وحل محلها الدعاة الجدد والافتاء الشعبى ممن لا يملكون مؤهلات المفتى وهذا هو السبب فى أن الدين والقرآن يقدمان من خلال فتاوى وتفسيرات بأشكال متناقضة وأحياناً ضارة وخاطئة مما سبب قلقاً فى مصر والسعودية. ولذلك ظهر الحرص على ضبط عملية الفتوى وأن تتم من خلال الأوساط الرسمية أو توحيد الفتوى وهذا حل ليس عملياً كما أنه يتناقض مع عملية الفتوى ذاتها من حيث أنها انزال لحكم شرعى ثابت على وضع متغير ولذلك تختلف الفتاوى باختلاف الأوضاع المتغيرة والعصر الذى تصدر فيه والثقافة السائدة وقدرة المفتى على الإدراك المستنير للنص الشرعى وللموقف المتغير.

4

الجبر والاختيار

فى الثقافة الشعبية

نؤكد مرة أخرى على الهدف من هذه اللقطات وهو قياس المسافة الفاصلة بين الفهم الصحيح لأحكام القرأن وبين فهم العامة وثقافتهم فى هذا المجال.

يغلب على فهم العامة لمسألة الجبر والاختيار وهى مسألة دقيقة وفلسفية جانب واحد من هذه المسألة وهو التسليم المطلق بكل ما يحدث على أساس أنه قضاء وقدر ومن مقتضيات الإيمان التسليم الكامل به واستمر هذا المفهوم من تطوير مفهوم القدرية فى كل شئ فكل شئ بقدر، ومادام الله هو مسير كل أمر فلا دخل للإنسان فيه، وهكذا غلبت نظرية الجبر فى هذه المسألة. وقد وجد رجال الدين والحكام ضالتهم فى تكريس هذا المفهوم لأنه فى صالحهم ويكرس الخضوع الكامل من جانب العامة للحاكم مادام الله هو الذى اختاره بتفسير معين للآية الكريمة "يؤت الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء." كذلك استند رجال الدين فى حمل العامة على طاعة ولى الأمر فى كل شئ حتى فيما يضرهم وأبدعوا فى تخريج ذلك كلما أجزل الحاكم العطاء لرجال الدين طيلة التاريخ الإسلامى بأكمله. فالتسليم لله ولقدره يقتضي التسليم للحاكم، وما أصاب الناس فمن أنفسهم، وأما الخير فمن الله والحاكم. وتحفل آيات القرآن ونصوصه بهذه الأحكام التى فسرت للعامة تفسيرات مغرضة ، من ناحية حفاظاً على رضا الحاكم وتوقى سخطه وطمعاً فى عطائه، ومن ناحية أخرى لأن المفهوم يدق على أفهام العامة، فلا سبيل إلى مناقشة المفهوم خاصة وأنه عند رجال الدين يدخل فى باب الفلسفة وهو باب الشيطان، فلا يحسن الإبحار فيه.

تلك هى الخلفية الدينية والظروف التى أحاطت بفهم العامة لمسألة الجبر، ولايوجد لديهم اختيار تأسيسا على تفسير مغرض أيضاً للأحكام التى تؤكد أنه ما كان لمؤمن ولا مؤمنة أن يكون له الخيرة من أمرهم. والصحيح أنه أمام النص القرآنى أو السنة الواضحة فلا اجتهاد وإنما تسليم.

أما الفهم الصحيح لمسألة الجبر والاختيار وهى بالفعل من مسائل الفلسفة الإسلامية التى اجتهد فلاسفة الإسلام ومفكروه فى صددها فيما حفلت به المجلدات، فهو أن الله سبحانه وتعالى بما اختص نفسه به من علم كل شئ، ما من ورقة تسقط من شجرة وما تحمل كل أنثي وما تغيض الأرحام ويعلم سرنا ونجوانا ويعلم ما توسوس به أنفسنا، فإن هذا العلم ينقسم إلى قسمين: قسم مفروض لا سبيل إلى دفعه لأنه قضاء وقدر وإن عرفت أسبابه الظاهرة، وقسم آخر هو ما يأتيه الإنسان نفسه من تصرفات فى مسيرة حياته وهو أيضا في علم الله لكنه ليس قدرا مقدورا .

ويختلط القسمان عند العامة فى قوله تعالى: وفى السماء رزقكم وماتوعدون ، كما يختلط بأحكام القرآن المؤكدة بأن من يهدى الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا. فأفعال العباد كلها سواءالاختيارية أو الإجبارية يعلمها الله، فالهداية إلى الحق وتجنب الباطل قرار من الله أيضا، ولكن يسبقه قرار الإنسان. فالله سبحانه الخالق الرزاق المتصرف، ومع ذلك يحترم إرادة الإنسان حتى فى مسألة الإيمان والكفر: من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، ولذلك وهبه العقل للتمييزكما ألهم النفس الفجور والتقوي والإنسان هو الذي يتعامل معها بالتمشي أو الصد. ويحب الله أن يأتيه الإنسان طائعا واعيا مختارا وأن يعبده ويؤمن به عن بصيرة لأنه سبحانه ليس بحاجة إلى عباده ونحن الفقراء إليه .

فى هذه الزاوية نسجل أربعة ملاحظات : الملاحظة الأولى هى أن الإنسان إذا اختار الكفر أو الإيمان وأصر على اختياره ختم الله على قلبه فلايدخل الإيمان إذا اختار الكفر ولايدخل الكفر إذا اختار الإيمان الملاحظة الثانية أن باب التوبة مفتوح فى كل وقت إذا قرر الإنسان أن يؤوب إلى الله فيهديه الطريق والوسيله، والهداية فى كل حال.

الملاحظة الثالثة هى أن الأعمال بخواتيمها، فقد يصيح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا، والعكس، المهم اللحظة التى يغادر فيها الدنيا، ولذلك حثنا القرآن على أن نطلب من الله أن يميتنا على الإيمان والهدى، وأوصانا بألا نموت وإلا ونحن مسلمون ، فالأعمال بخواتيمها.

الملاحظة الرابعة هى أن الهداية من الله ولكن للإنسان دخل فى هداية الإنسان إليها "ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير".

5

الجهاد القرآنى والجهادى الجاهلى

اختلط الأمر فى شأن الجهاد عند الشباب المسلم وتبين من الدراسة أن مصادر معلوماته عن الجهاد هى القرآن الكريم بتفسير آئمة الجهاد المعاصر وهو الذى اطلق عليه الجهاد الجاهلى ولاسباب سوف نشرحها فى هذه المقالة.

أما المصدر الثانى لمعلومات الشباب عن الجهاد فهى التراث الشعبى الذى استقر فى أعماق وفى قاع العقل الشعبى هو التراث الشعبى التاريخى عن الجهاد وأما المصدر الثالث فهو التوجيه السياسى للشباب حول الجهاد أى استخلاص الحق الضائع من سلطان جائر ولو بطريق غير مباشر.

والحق أن الجهاد أسئ فهمه كما أسئ مضمونه فالجهاد تاريخياً صحيح والجهاد قرآنياً يعنى الدفاع عن النفس وعن الضرورات الخمس بكل الطرق ولكن القرآن لابد أن يقرأ قراءة مجملة وشاملة فلا يجتزأ منه لخدمة أغراض معينة والجهاد فى القرآن هو الوصف الذى يطلق على الفعل الذى يقوم به ضحية العدوان فقد يكون رد الفعل وهو فى الوصف القرآنى جهاد قتالي وقد يكون فكرياً وقد يكون ثقافياً أو نفسياً فإنكار المنكر ثقافة نفسية وإنكار النفاق لا يكون بالقتال ومن ثم فإن ارتباط الجهاد بالقتال ليس دقيقاً كما أن تقسيم الجهاد إلى اقسام ومراتب هو من صحيح الكلم الذى قال به الأقدمون ولكن المحدثين المتراجعين المتقربين من الغالب الغربى يرون أن جهاد النفس هو الجهاد الأكبر ويستندون فى ذلك إلى مصادر قرآنية ونبوية وهو صحيح ولكن هذا الجهاد لا يغنى ولا يحل محل مجاهدة الآخر المعتدى وقد أوضح الحديث النبوى الشريف ظلال هذه المعانى حين أكد الرسول فى حديثين منفصلين على أنه ليس القوى بالصرعة وإنما القوى هو الذى يملك نفسه وقت الغضب وهو الذى يلجم نفسه عن الخطايا

وهو نفسه من قال أنصر أخاك ظالماً أو مظلوما فأوضح أن نصرة الأخ الظالم تكون برده عن ظلمه وليس إعانته عليه.

فالجهاد بكل هذه المعانى الإيجابية ثقافة قرآنية والمعيار الفاصل بين الجهاد القرآنى والجهاد الجاهلى هو أن يكون ذلك وفقاً لمفاهيم القرآن والعدل وعدم الجور والمآلات ولذلك قررنا فى كتابنا حول الإعجاز القانونى والتشريعى فى القرآن الكريم أن عقد الشهادة فى القرآن يتضمن الجهاد والشهادة معاً فى قوله تعالى "إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة" وقولنا أن هذا الجهاد بالنفس والمال يضع صاحبه فى مرتبة الشهيد إن مات خلال الجهاد ولكن إن بقى بعد الجهاد أو جاهد بماله دون نفسه فإن هذه مرتبة أخرى تختلف عن الشهادة.

والشباب المسلم الذى يحارب تحت شعارات إسلامية ويسمى نفسه مجاهداً فى سبيل الله هو شباب طاهر حسن النية تم استغلاله واستغلال المظالم المحيطة به للتشويش على معنى الجهاد ولذلك يجب مراجعة جميع المناسبات التى تم فيها تجنيد هذا الشباب وتصفية منابع الفكر فى هذا الباب وترشيده حتى لا يلتبس عليه الجانب الدينى فى المسألة وعليه أن يسأل نفسه هل انخراطه فى هذه الجماعات يخدم أهدافا سياسية لمن ساندوه أم أنه يعد جهاداً فى سبيل الله ضد عدو ينتهك الحقوق وعلى رأسها المسجد الأقصى وكذلك المقدسات وهذه القضية تحتاج إلى أعلى درجات الاستنارة حتى لا تختلط الأوراق ويضل الشباب عن الطريق الصحيح.

وقد لاحظت أن أحد اليهود الصهاينة ويسمى JOHN Spencer

قد فتح موقعاً سماه يوميات الجهاد يجمع فيه يومياً الأحداث الإسلامية ويقدم لها تفسيراً للغرب فيضلل المسلمين ويضرب الإسلام وذلك كله لصالح المشروع الصهيونى كما أن هناك مواقع إسرائيلية تتولى هذا الموضوع بالشرح والتحليل حتى تثبت أن إسرائيل واليهود هم الذين يجب الاقتداء بهم .

وأما العرب المسلمون فهمصاروا في زعمهم خطرا على البشرية وعزز من هذا الخط بعض المسؤولين فى دول إسلامية الذين قالوا أنه لا يجوز للمسلمين أن يبيدوا بقية العالم لكى يعيشوا فأوضح بذلك أن العالم لابد أن يختار بين المسلمين وبين غيرهم وأيهم اجدر بالحياة من الآخر وقد علقنا على ذلك ودحضناه فى مقالة سابقة بعنوان "هل يهدد المسلمون العالم حقاً؟!" .

فى المقالات القادمة سوف نعالج الالتباس بين المسلم والإسلامى فى الثقافة القرآنية واستغلالها سياسياً وثقافياً من جانب خصوم الإسلام والمسلمين.

6

الخرافات الدينية فى الثقافة الشعبية

فى جميع العبادات، هناك خرافات فكرية أو ثقافية أو سلوكية أو حركية وهذا الموضوع يختلف عن التدين الشكلى أى ممارسة ظاهر العبادات دون أن يطبع هذا التدين سلوك الإنسان. فنشأت خرافات فى المساحة الفاصلة بين التساهل والتشدد فى الدين.

ففى مجال الصلاة، ينبه الإمام إلى ضرورة سد الفرج عند الوقوف فى الصلاة فيعمد البعض تطبيقا لذلك إلى الالتصاق بمن يقف بجانبه حيث فهم الفرج هى المسافات وكأن هذه الفرج يملأها الشيطان، كما يعمد الواحد منهم إلى لصق قدمه بقدم من يجاوره مما يسبب ضيقا عند المصلين المجاورين.

ومن الخرافات فى هذا الباب أن مرور الكلب فى الشارع أو المنزل ينقض وضوء المتوضئ ووجوده فى المنزل يطرد الملائكة وغير ذلك من عشرات الخرافات التى يزدحم بهاباب الصلاة.

ومن الخرافات فى الصلاة وضع اليدين عند الوقوف فى الصلاة على الصدر من أعلى أم على الوسط، أم عدم وضع الأيدى أصلا. وبعض المصلين عند التشهد يحرك الإبهام بشكل متصل أو يرفعه طوال فترة التشهد، ومنهم من يكثر من الدعوات عند السجود والركوع بشكل هستيرى وكأنه يسابق الزمن، بل بعضهم بصوت كطنين النحل.

وفى مجال الصوم بدع من التساهل والتشدد. ويرجع ذلك فى الصوم والصلاة إلى بلبة تحدثها الفتاوى المعاصرة الهادفة إلى تخفيف أعباء هذه العبادات، وبلغت بعض هذه الفتاوى حدودا دفعت الناس إلى التشكيك فى مقاصدها كقول أحد المفتين الكبار أن شرب الخمر لا ينقض الوضوء، وإذا

أراد الفرد الصلاة يكفى المضمضة من أثر الخمر مما فتح الجدل حول شرب الخمر وهل يتفق مع أخلاق المسلم، كما صدرت فتاوى متطرفة من هذا النوع فى صدد علاقة الصائم بزوجته فى نهار رمضان وفى سياق الكفارات صدرت العديد من الفتاوى الغريبة.

وفى مجال كفارات الحج، خاصة مسألة الهدى، قيل فيه الكثير خاصة مع ظهور البنوك التى تنوب عن الحاج فى الهدى بما يتناسب مع تطور الحياة وكثرة عدد الحجاج. كذلك ظهرت فتاوى للزكاة تحاول الجمع بين الأحكام الفقهية القديمة، وتطور الظروف والحالة الاقتصادية وتغير القيمة الشرائية للسلع والنقود. وفى مجال المعاملات اكتسحت الحياة الحديثة المجتمعات الإسلامية فرأى البعض ضرورة توثيق الطلاق واعترض البعض على ذلك وآثارت هذه القضية جدلا واسعا بين الأزهر والرئاسة فى مصر مما كثرت معه التأويلات السياسية.

كذلك ثار الجدل الدينى حول الربا وفوائد البنوك، وحول الحجاب والنقاب ومدى الإلزام الدينى فى هذه الملابس، ولابس ذلك كله اعتبارات لا علاقة لها بالدين.

ولايخفي أن بعض الفقهاء القدامي قد نبه إلي أن التشدد لتنقية الدين مما علق به من خرافات هو من ضرورات الدين حتي شاع أن المذهب الحنبلي وتطبيقاته هو المذهب المتشدد عند العامةحتي شاع مصطلح " لاتكن حنبليا أي متشددا".

علاقة الدنيا بالآخرة في الثقافة القرآنية الشعبية

في القرآن الكريم نظرية منضبطة في علاقة الدنيا بالآخرة . وهذه النظرية تقوم علي خمسة فرضيات:

الفرضية الأولي :هي التلازم بين الدنيا والآخرة فلا آخرة بلا دنيا ولادنيا بلا آخرة.

الفرضية الثانية :هي أن الآخرة هي الأبقي والأكثر دواماً ولكن المصير في الآخرة يتوقف علي عمل الدنيا ولذلك تعتبر الدنيا مزرعة للآخرة .

الفرضية الثالثة :هي أن مصير الإنسان في الآخرة يتحدد في حسابه عن أفعاله في الدنيا ولذلك لابد أن يكون الحساب عادلاً واهم ركائز العدل في الحساب اثنتان هما العقل والحرية ، فلا مسئولية علي غير العاقل ولا مسئولية علي غير الحر .

الركيزة الرابعة هي التوازن بين الدنيا والآخرة فلايندمج في الدنيا وينسي الآخرة ولاينصرف تماما عن الدنيا إلي الآخرة . فالطريق الوسط هو التوازن الإيجابي.

الركيزة الخامسة : أن الإنسان في الدنيا أعطي فرصة لاختباره وأن هذه الفرصة توجب عليه أن يحاسب نفسه عن عمره فيما افناه وعن ماله فيما انفقه وان يتقيد بنصيحة الرسول صلي الله عليه وسلم في خطبة الوداع :أن يأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن الشبيبة قبل الكبر ومن الحياة قبل الموت فليس بعد الدنيا من دار إلا الجنة أوالنار

هذه النظرية المتماسكة التي تقوم علي أرضية واضحة أن الإنسان خلق من تراب وأنه سوف يموت ثم يبعث ثم يحاسب وهذه المعادلة الدقيقة احتشدت لها الكثير من الآيات والأحاديث كما افاض الشراح والفقهاء في إيضاحها.

وقد التبس هذ ا الأمرفي الثقافة الشعبية وظهرت خمسة انحرافات لابد من ردها الي أصولها القرآنية :

الانحراف الأول : هو مفهوم القضاء والقدروالجبر والإختيار هذا الموضوع دخل في صلب الفلسفة الإسلامية إلا انه وصل الي العامة بطريقة خاطئة اتسمت بالسذاجة وعدم الرغبة في إعمال العقل لأن الثقافة الشعبية عادةً تستريح الي الحلول البسيطة فأصبح العامة يتركون قضايا الدين إلي رجال الدين حتي الذين لم يحصلوا على أي قدر من الثقافة الشعبية مقولات مثل "اترك للعالم واطلع سالم "وهو قمة التسليم للعالم وهذا العالم قد يكون ذلك الرجل الأعمي الذي ذكره طه حسين في كتاب الأيام .

الانحراف الثاني : هو التسليم بأن كل شر يقع للإنسان ولو كان هوسبب فيه إنما هو بأمر الله ولا فرار منه ولذلك لايميز العامة بين جهد الإنسان وإرادته وبين قضاء الله فيه فهم لايتعرفون بإرادة الإنسان .

الانحراف الثالث : هو أن الدنيا لاقيمة لها وانها حقيرة ان يعيش فيها الانسان ويدعو أنصاف المتعلمين الي التزاء بعض الآيات والأحاديث مثل أن الدنيا لاتساوي جناح بعوضة وأن الآخرة هي الأساس وأن الدنيا فانية وأن الإنسان يجب أن لا يحتفل بها .

الانحراف الرابع : عدم فهم العامة لفلسفة الحياة والموت في القرأن الكريم ولذلك فهموا الحياة والموت بطريقة تعاني من التبيسط المخل وهو أن الحي لابد ان يموت ولكن لم يدركوا أن الحياة فرصة لكي يحي في آخرته ويجني ثمار سعيه في الدنيا.

الانحراف الخامس :هو عدم ادراك العامة حالات الخروج من الدنيا واعتقادهم بأن التوبة ممكنة ولكن عندما يكبر الانسان وخلطهم بين الموت والشهادة وبلغ تقديسهم للشهادة انهم يتمنونها ولكن يجهلون من هوالشهيد.

اذا قارنا بين نظرية القران في علاقة الدنيا بالآخرة وبين انحرافات العامة في فهم هذه العلاقة اتضح لنا ان العامة تتلقي من وسائط ومادام فهم العامة ضروريا لسلوكهم فان ضبط هذا السلوك يتطلب ان ينزل العلماء والمتخصصون من برجهم العالي ليبسطوا للناس وظيفة الدين في المجتمع لان ارتباك العامة بين الحاكم ورجال الدين وتعاليهم واصراهم علي نقل النصوص دون انزالها الي الواقع هو الذي افسد الثقافة القرانية الشعبية.

والخلاصة ان المفاهيم المركزية في القرآن يجب تبسيطها وتحديد الأرضية التي تنزل عليها في الواقع حتي لا يزل رجال الدين مثل احبار اليهود الذين قال فيه القرآن

" ان الذين حملوا التوارة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا "

وهذه قضية يجب ان يلتفت اليها كل المصلحين في المجتمع وان يكون فهمهم جميعا للدين فهما صحيحا فلا مكان للتناقض بين افهامهم علي خلفيات سياسية اوايدلوجية وعليهم ان يتدبروا .

"أمرت ان أخاطب الناس علي قدر عقولهم "

أي علي قدر حظهم من المعرفة والثقافة

8

القدس بين الطابع الدينى والطابع السياسى

المشروع الصهيونى واضح منذ البداية وهو التهام كل فلسطين والقدس ولكن هذا المشروع يتم تنفيذه على مراحل وفقاً لاعتبارات سبق ذكرها. وتحاول إسرائيل أن تلقى ظلالا من الشك حول القدس بشكل خاص فقد تساءلت المواقع الإسرائيلية عن طبيعة النزاع حول القدس: سياسى أم دينى؟ حتى يمكن للقارئ العربى أن يتشتت بين الطابعين. فإذا كان النزاع سياسياً أى بين إسرائيل والفلسطينيين فلا علاقة بين القدس والعالم الإسلامى ولهذا السبب ركزت إسرائيل على أن النزاع فى القدس مع الفلسطينيين نزاع سياسى ولكنه عند إسرائيل قضية دينية توراتية ذلك أن إسرائيل وكبار الحاخامات يعتقدون أن اكتمال سيطرة إسرائيل على القدس وهدم المسجد الأقصى يقرب نزول السيد المسيح المخلص وهذه هى النقطة التى أقنع بها اليهود المسيحيين بأن الكتاب المقدس لهما كتاب واحد ينقسم إلى العهد القديم والعهد الجديد وأن هناك تكاملا بين المسيحية واليهودية واستندوا فى ذلك إلى حقيقة ثابتة وهى أن التوراة والانجيل وموسى وعيسى قد بعثوا لبنى إسرائيل على التوالى أما محمد صلى الله عليه وسلم فقد بعث للعرب وقد ترجم اليهود ذلك بأن النبوة فى بنى إسرائيل ومعها السيادة لليهود وهو تناقض واضح بين ادعاء الجمع بين اليهودية والمسيحية فى كتاب واحد ولكن القرآن الكريم أخبرنا بأن بنى إسرائيل كفروا بما أنزل عليهم وبرأهم من قتل عيسى رغم أن الجزء الاساسى فى العقيدة المسيحية قائم على أن اليهود فى عهد الرومان قد قتلوا عيسى وصلبوه .

كذلك شكك الإسرائيليون فى الرواية القرآنية عن القدس فقالوا أن القرآن تحدث فقط عن المسجد الأقصى ولم يتحدث عن القدس ومعنى ذلك أن المسجد الأقصى وحده هو ملك للمسلمين وأما القدس فهى مدينة مقدسة لليهود والمسيحيين أيضاً. والعجيب أن الدول العربية قد تراجع موقفها فى القضية من المطالبة بكل فلسطين إلى المطالبة بما تبقى منها بعد احتلال

إسرائيل لمعظم أراضيها كذلك تراجع الموقف العربى من المطالبة بكل القدس إلى المطالبة بشرق القدس بل المطالبة فقط بالمسجد الأقصى ووضعه هذا الاقتراح فى إطار سيطرة إسرائيل على المكان مع السماح بحرية العبادة لاتباع الشرائع الثلاثة.

ومن الواضح أن إسرائيل اختبرت المواقف العربية ومدى تمسكها بالقدس وخلصت إلى أن هناك ارتباكاً فى الموقف العربى علماً بأن قضية القدس واحتلال إسرائيل لها كاملاً عام ١٩٦٧ ثم حريق المسجد الأقصي هو الذى أدخل العالم الإسلامى مع العالم العربى فى القضية الفلسطينية وهذا هو السبب فى إنشاء منظمة المؤتمر الإسلامى (التعاون الإسلامى الآن) عام ١٩٦٩ ومهمتها الاساسية هى استرداد الاماكن المقدسة وهى القدس فى فلسطين ومساندة الفلسطينيين فى مواجهة إسرائيل.

من الناحية الدينية يعتبر المسجد الأقصى القبلة الأولى للمسلمين بعد أن تقررت الصلاة بمناسبة الاسراء والمعراج فى العام الثانى للهجرة بل إن عمر بن الخطاب اعتبر مدينة القدس وليس فقط المسجد الأقصى وقفاً للمسلمين. ويشير القرآن الكريم إلى أن القبلة قد تحولت من المسجد الأقصى إلى بيت الله الحرام فى مكة إرضاءاً وتكريماً للرسول صلى الله عليه وسلم وهى رغبة ظلت كامنة فى نفسه ولم يبدها لأحد لقوله تعالي "قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام.....".

ومعنى ذلك أن المسجد الحرام جزء من عقيدة المسلمين والدفاع عنه فريضة دينية. وليس معنى ذلك أن يترخص المسلمون فى باقى أجزاء القدس خارج المسجد الأقصى وإنما الواضح أن مدينة القدس جزء من فلسطين وأن فلسطين كلها عربية فإذا كانت مدينة القدس تضم المسجد الأقصى للمسلمين فإنها تضم كنيسة القيامة للمسيحيين وكلهم ملك للفلسطينيين . وقد أكدت منظمة اليونسكو فى قرارات متعددة أن مدينة القدس تخلوا من أى أثار يهودية وكان أخرها القرار الصادر عام ٢٠١٦ وهذا يناقض تماماً مزاعم إسرائيل وأنصارها.

من ناحية أخرى فإن وجود المقدسات فى بلد لا يعنى أن أتباع الشرائع لهم حق فى هذا البلد وتطبيقاً لذلك فإن مكة والمدينة تقع فى الأراضى السعودية وأن الحج والعمرة جزءا من عقيدة المسلمين كذلك فإن وقوع المسجد الأقصى وكنيسة القيامة فى القدس أو فى محيطها لا يعنى سلطة كل من هو مسلم أو هو مسيحى على الأماكن المقدسة مع الفارق بين زيارة المسجد الأقصى وزيارة بيت الله الحرام ولو استمر المسجد الأقصى قبلة للمسلمين لكان الحج إليه فريضة كما هو الحال مع بيت الله الحرام.

نخلص مما تقدم إلى أن القدس قضية دينية تخص المسلمين والمسيحين على امتداد المعمورة وهى قضية سياسية تخص الفلسطينيين أصحاب فلسطين ولا علاقة لإسرائيل بفلسطين أو بالقدس وأن ما تدعيه هو مجرد تبرير لاغتصاب قلب فلسطين وهو القدس.

وختاماً من الواضح أن إسرائيل قد بلغت نهايات مشروعها فى فلسطين وأنها دفعت الفلسطينيين إلى الحائط بمبررات زائفة وأشهرها عملية السلام فأى سلام يرجى بين ذئب يلتهم كل شئ وبين صاحب الأرض الذى قبل أن يفسح للاجئين اليهود مكاناً عندهم فإذا بالزائر يلقى بصاحب الدار خارج الدار وتلك لحظة كاشفة فى مسيرة المشروع الذى ظن أنه بلغ نهايته بقرار الرئيس الأمريكى بضم القدس إلى إسرائيل وتشجيع دول العالم على انتهاك كل المرجعيات القانونية التى تحكم الوضع القانونى لمدينة القدس وفلسطين.

9

الكيد الصهيونى

للإسلام والمسلمين

المعلوم أن هناك تاريخا من العداء بين اليهود والمسلمين منذ العصر النبوى لأسباب سياسية وليست دينية هذا العداء السياسى أستمر فى صور متعددة واتخذ فى العصور الحديثة شكلاً سياسياً واضحاً وهو الحركة الصهيونية رغم أن معظم اليهود صهاينة وأن الصهيونية امتدت إلى غير اليهود مادامت حركة سياسية فدخل فيها مسيحيون ومسلمون وعرب مما أوضحته ريجينا الشريف فى كتابها القيم الصادر ترجمته باللغة العربية عن مطبوعات الكويت فى ١٥ ديسمبر ١٩٨٥ بعنوان الصهيونية غير اليهودية فحلت بذلك لغزاً كان مسيطرا على الفكر العربى ثم جاء كبير حاخامات اليهود فى العالم فى مؤتمر حوار الثقافات والاديان فى مدريد عام ٢٠٠٥ فزاد المسألة وضوحاً فقطع باليقين ما كانت تهويمات عربية سياسية فأكد أن لا فرق بين الصهيونية واليهودية بل إن الصهيونية تعمل فى خدمة اليهودية وأن الوفاء لإسرائيل ودعمها واجب توراتى بينما كان العرب يفرقون بين اليهودية والصهيونية وأعتقد أن هذه التفرقة لا تزال صحيحة رغم كل شئ.

عبث اليهود بالعقيدة الإسلامية فيما سمى الإسرائيليات فى القرآن والسنة بينما أفهموا الآخرين أن لهم آلها آخر ولولا إشارة القرآن الكريم إلى أن حاخاماتهم زوروا التوراه لأثار ذلك الشك عند ضعاف النفوس.

وعندما زرعت إسرائيل فى هذه المنطقة وتوسلوا بحجج تاريخية وتوراتيه وغيرها لإيجاد الصله بينهم وبين فلسطين فإنهم اعتمدوا أساساً فى مخططهم على تمزيق العالم العربى واختراقه واجهاد العالم العربى واستتباع بعض قياداته واختراق مجتمعاته وهزيمة جيوشه ولكن إسرائيل لم تكتفى بذلك وإنما حاربت الإسلام والمسلمين فى صور حديثة متعددة نورد أهمها فيما يلي:

أولاً: على المستوى الفكرى أنشأت إسرائيل مواقع متعددة للتشكيك فى العقيدة الإسلامية وشجعت الباحثين لديها على تشويه الرموز الإسلامية عبر التاريخ ،ولوي عنق الحقائق خاصة في القدس .

ثانيا: عمدت إسرائيل إلى اختراق المجتمعات الإسلامية ونموذج ذلك الجاسوس الإسرائيلى الذى يجيد اللغة العربية وكان يؤم المسلمين فى الصلوات فى ميدان التحرير خلال ثورة يناير ولم نعد نسمع عن حوادث تجسس إسرائيلية فى مصر بعد أن أصبحت إسرائيل بغير حاجة إلى هذه الطرق البدائية.

ثالثاً: أنشأت إسرائيل عدة منابر فكرية على الأقل باللغة الإنجليزية تبث السم ضد الإسلام تحت عنوان الإرهاب الإسلامى وللأسف تجد زاداً ثرياً كل يوم لكى تضرب به الإسلام والمسلمين بعد أن تمكنت مع بعض الحكام العرب من دفع الشباب المسلم بطرق مختلفة إلى ساحات الإرهاب بدول عربية وإسلامية .وأبرز هذه المواقع هى :

١- مؤسسة التعاون الإسرائيلى الأمريكي التى تصدر نشره أسبوعية بعنوان الحقائق والأساطير.
٢- مركز بيزة BESAوهو مركز السادات بيجن للدراسات الاستراتيجية فى جامعة بار إيلان التى تصدر أوراقا استشرافيةperspective papers
٣- نشرة روبرت اسبنسر Robert Spencerواسمها النشرة اليومية لمرصد الجهادDaily briefing watch وهى ترصد جميع الأحداث فى مختلف الدول لكى تربطها بالجهاد الإسلامى الذى صار إرهاباً.
٤- منتدى الشرق الأوسطMiddle East Forum’ الذى نشر فى أكتوبر ٢٠١٧ مقالات تحرض علي المقاومة فى غزة بزعم أن منظمات الاغاثة العاملة مع سلطات بنجلاديش لاغاثة المسلمين الفارين من بورما أوقفتها السلطات الحكومية لأنها متورطه مع حماس والمنظمات الإسلامية كذلك نشرت مقالات

عن البرقع والنقاب واستعداء المجتمعات الغربية ضد المرأة المسلمة فى أوروبا مستغلين عدم حصافة الجاليات الاسلامية في التعامل مع هذا الكيد.

٥- نشرة التحذير اليومى Daily Alertالتى يصدرها مركز القدس للشؤون العامة وهذا المركز يملك موقعاً خطيراً لتشويه القرآن الكريم والمفاهيم الإسلامية .

٦- مركز بلفرBelfer وهو تابع لمعهد القدس للدراسات الاستراتيجية الذى خصص للتشكيك في المصالحة الفلسطينية ومعاداة إيران ودعم الأكراد فى الدول الأربع والربط بين إيران وكوريا الشمالية فى الأحداث اليومية.

٧- Foreign Affairs Journal ومهمتها تفسير الأحداث الدولية لتشويه الإسلام والمسلمين.

ومن الواضح أن كافة الشئون الإسلامية وخاصة تورط الشباب المسلم فى عمليات إرهابية وكذلك المقاومة الفلسطينية واللبنانية وإيران هى مادة خصبة لهذه المنابر الفكرية.

إسرائيل والأزهر الشريف:

قمنا برصد موقف الإعلام والمؤسسات الإسرائيلية من الأزهر الشريف والهجمات المتتالية عليه وتأكد لنا أن الموقف الإسرائيلى الذى يشترك مع الاتجاهات العلمانية المصرية قد استغل الصراع بين السلطة والإخوان المسلمين فى مصر لكى يهاجم الإسلام ومؤسساته التاريخية مثل الأزهر ذلك أن المقالات الإسرائيلية لا تمل من نسبة الإرهاب إلى خريجي الأزهر رغم علمها بكذب هذه المقوله وبأن التعليم الأزهرى هو التعليم الوحيد فى العالم الإسلامى الذى يتسم بالاعتدال والجدية بخلاف الكثير من مؤسسات أخرى ومعنى ذلك أنه إذا ارتكب بعض طلبة الأزهر أو بعض خريجيه أعمالاً إرهابية فإن ذلك لا علاقة له بالتعليم الأزهرى وإنما يفسر بظروف سياسية تمر بها مصر.

ولا ندرى إن كان هناك تنسيق بين الدوائر المصرية والإسرائيلية المعادية للأزهر ولكننا رصدنا نفس الخطاب دون أن نحرج أحداً بالإسم وبعضها شخصيات تولت ولا تزال مناصب وزارية فى مصر ووجه الشبه بين الطرفين هو أن الدوائر المصرية تهاجم المقاومة وتتعاطف مع إسرائيل وتبرر عدوانها علي غزة وتعزف معزوفة الإرهاب الإسلامى وهى لا تدرى أنها مؤامرة كبرى وفتنة أكبر أصابت الشباب المسلم لأسباب كثيرة وأهمها تداخل الأحداث السياسية وصعوبة الفصل بينها.

ومما يذكر أن إدارة الرئيس ترامب تقدم حماية كاملة لكل خطط الكيد الصهيونى ضد الإسلام والمسلمين وكان يتعين على الدول الإسلامية ذات المكانة الدينية أن تصاب بالغيرة على الإسلام وألا تكون سنداً لهذه الحملة وداعمه للأحداث فى سوريا وغيرها تحت أستار وأعذار مختلفة. وفى هذا الصدد نشير إلى أن مستشار الرئيس ترامب لشؤون الأمن القومى قد أكد صراحة فى أكتوبر ٢٠١٧ الاعتقاد العام لدى الأدارة وبعض الادارات السابقة من أن الإسلام سرطان يجب بتره كما تم مع الشيوعية والنازية ونذكر فى هذا الصدد أن ترامب امتداد لسابقيه ولكن بشكل أكثر صراحة وقد نشر الرئيس نيكسون عام ١٩٨٩ كتابه الشهير بعنوان نصر بلا حرب وحدد فيه العدو الجديد وهوالإسلام بعد انهيار الشيوعية أما بوش فكانت له اشارات رسالية خطيرة ضد الإسلام وكأنه مبعوث العناية الإلهية لتحرير العراقيين من الوحش صدام حسين .

وأما الرئيس أوباما فقد قال فى خطبة الوداع ما يتناقض مع ما فهم عنه طوال مدة حكمه حيث قال أن المشكلة فى الإسلام وليس فى المسلمين حتى لا نضل فى توصيف الداء وذلك فى كلمة الوداعfarewell speach التى ختم بها ثمانى سنوات من حكمه.

فهل يعيد شباب وحكومات المسلمين الاعتبار إلى الاسلام فى مواجهة هذه الهجمة الصهيونية التى استغلت الشباب المسلم وقوداً للفتك بالإسلام والأوطان الإسلامية.؟.

الموقف العربى الاسرائيلى حول القدس فى نظر القانون الدولى

رأيت إسرائيل منذ سنوات استولت بالقوة على شرق القدس عام ١٩٦٧ بعد استيلائها بالارهاب والمذابح على غرب القدس عام ١٩٤٩ على التمسك بأن الأمر الواقع هو الذى يلوى عنق القانون وأن ما يحدث على الأرض بالقوة يتحدى كل قواعد القانون . اعتمدت اسرائيل على ضعف الدول العربية وتطويعها وفق موازين القوة لصالح اسرائيل بسبب الاستبداد والفساد فى الوسط العربى وحجب الكفاءات عن الصفوف الأولى ، فأعلنت منذ السبيعنيات أن القدس أصلا كانت عاصمة الدولة اليهودية فى القديم وأنها عازمة على استراجاعها عاصمة للدولة اليهودية الجديدة وهى اسرائيل . وزعمت أن العرب هم من قسموا القدس إلى شرقية وغربية وتجاهلت أنها هى التى استولت بالقوة والارهاب على غرب القدس ونقلت إليها

مؤسسات الدولة الغاصبة الوليدة وأسمتها القدس الغربية . ولما استشعرت إسرائيل أن مهمه السلام مع مصر عام ١٩٧٩ تفتح لها الأبواب لاستكمال المشروع الصهيونى وأنها كما قال وزير خارجيتها الميلاد الثانى لدولة إسرائيل ، أقام الكنيست فى اغسطس ١٩٨٠على اصدار تشريع يقضى باعتبار القدس كلها شرقا وغربا موحدة وعاصمة ابدية (أى فى الماضى) ودائمة (أى فى المستقبل) لإسرائيل .

ولكن هذا الزعم يتناقض مع ثلاثة مصادر للقانون الدولى :- المصدر الأول: هو قرار التقسيم الذى يقضى بتدويل القدس لكى تصبح عاصمة للدولة الفيدرالية التى تضم الدولة العربية والدولة اليهودية المصدر الثانى : هو قرار مجلس الأمن ٢٤٢ الصادر فى نوفمبر ١٩٦٧ والذى أكد فى ديباجته على عدم جواز الاستيلاء على أراضى الغير بالقوة وعلى ضرورة الانسحاب الفورى وغير المشروط منها ، بالنسبة لكل الأراضى العربية والفلسطينية التى تم احتلالها فى نواع ١٩٦٧ ثم أكد القرار بصفة خاصه على أن شرق القدس أراضى محتلة

ينطبق عليها نفس المبدأ الثابت من مبادئ القانون الدولى

المصدر الثالث : هو قرارات مجلس الأمن ى الفترة من ١٩٦٧ حتى ١٩٨٠ التى تكرس وضع القدس.

ولا يظن أحد أن تناول القرار ٢٤٢ لشرق القدس وحدها هو تسليم بأن غرب المدينة تترك لإسرائيل ، ولكن ذكر شرق القدس سببه أنها ضمن الأراضى التى تم احتلالها فى نزاع ١٩٦٧ الذى يتصدى له قرار المجلس كذلك فإن تأكيد القرار على انسحاب اسرئيل من الأراضى المحتله فى هذا النزاع لا يعنى مطلقا أن مجلس الأمن قد سلم بهذا القرار ، كما زعمت اسرائيل بأنه لا يمانع فى توسيع إسرائيل فى فلسطين خارج النسبة التى خصصتها لها قرار التقسيم عام ١٩٤٧ حيث بلغت نسبة ما استولت عليه اسرائيل خارج هذا القرار ٢١.٥% أى أن اسرئيل يوم ٥ يونيه ١٩٦٧ كانت قد استولت على ٧٨% من مساحه فلسطين التاريخيه ، وهى تضم أنها تشدد أراضيها القديمة ولا تحتل

أراضى غيرها وتعتبر الفلسطنين غاصبين لهذه الأراضى ولكنها ترفع رأيه السلام حتى تخدر العالم وتستخف بهم وتكسب الوقت لإستكمال مخطط فرض الأمرالواقع ، ولذلك تهاجم الأمم المتحدة وتتهمها بالعداء لليهود رغم أن اسرائيل استغلت الأمم المتحدة لإستخدام شهادة ميلادها وهو قرار التقسيم .

وظلت اسرائيل تكرس المطالبة بكل القدس كعاصمة لها رغم أنها وافقت فى اتفاق أوسلو ١٩٩٣ على أن مصير القدس سيقرر بالمفاوضات مع الفلسطنين ولكنها اعتبرت أوسلو من أهم المحطات بعد ١٩٦٧ ، ١٩٧٩ نحو تمدد مشروعها الصهيونى صوب إسرائيل الكبرى .

وأمام هذا التقدم الإسرائيلى، كان يقابله وبنفس القدر التراجع العربى خاصه بعد صفقة كامب دايفيد فورطت العراق مع ايران وبدأت الأطراف العربية تتحدث عن السلام وتقدم التنازلات المجانية لإسرائيل فى قمة الرباط العربية ١٩٨٢ ومكافأه لغزو إسرائيل لبيروت وإخراج المقاومة منها ثم

تمكنت إسرائيل من القضاء على الانتفاضة الأولى بأسلوا وعلى الانتفاضه الثانية ٢٠٠٠ بعمليات كاسحه ٢٠٠٢ وهو العام الذى شهد قبيل عمليات جنين حصر عرفات فى المقاطعه ومنعه من المشاركة فى قمة بيروت العربية التى أخرجت المبادرة العربية للسلام وهى صبغه تقليدية ولكن إسرائيل استشعرتها واعتبرتها من آثار تراجع العرب والمسلمين بعد مسرحيه ١١سبتمبر الامريكية فى نفس العام ٢٠٠٢ كانت القوات الأمريكية تستعد لغزو العراق وصدر قانون القدس من الكونجرس يلزم الإداره باعتبار القدس عاصمه لإسرائيل ويؤكد على قانونيه عام ١٩٩٥ بنقل السفارة الأمريكية من تل ابيب إلى القدس .

وتصاعد الموقفان الإسرائيلى والأمريكى بشكل أخص بعد غزو العراق ٢٠٠٣ وخطاب الضمانات ٢٠٠٤ نحو الاندماج الكامل خاصه فيما يتعلق بالقدس حتى وصل ترامب إلى السلطة عام ٢٠١٧ وتبلور صفقة القرن مما أدى إلى قراره فى ديسمبر ٢٠١٧ بالتأكيد على موقف الكونجرس من أن القدس عاصمة لإسرائيل وتقرر نقل السفارة

الأمريكية إلى القدس وقد رد مجلس الامن باجماع الأعضاء على رفض القرار الأمريكى والتمسك بوضع القدس فى قرارات المجلس السابقة رغم إعاقه القرار بالفيتو الأمريكى ، وكذلك فعلت الجمعية العامه بثلثى أعضائها على الجانب الآخر :- إلى أى مدى كان الموقف العربى والفلسطينى أحد عوامل جسارة الموقف الإسرائيلى والأمريكى؟

من الناحيه السياسيه، كان الجانب العربى يراوده أمل التسوية وفق قرارات الأمم المتحده فتساهل فى شروط التسوية ان قبل قرار التقسيم الذى تجاوزته إسرائيل وتمسك بعمليه السلام الوهمية التى أسقطها قرار ترامب حول القدس ، كما أعلن أنه يتمسك بقيام دولة فلسطينية على حدود ٤ يونيو ١٩٦٧ أى على ٧٨% فقط من مساحه فلسطين التاريخية ، وعاصمتها القدس الشرقية مع ملاحظة أن القدس الشرقية والغربية تسمية إسرائيلية للإيهام بأن المدينه مقسمة وأنها هى التى وحدتها.

ومعنى ذلك أنه إذا كان العرب يتمسكون بهذه الصيغه لشرق القدس فإن ذلك تقسيم للمدينة

ومختلف لقرارات الأمم المتحدة والقانون الدولى. فقد تردد أن واشنطن ستنقل السفارة الأمريكية إلى غرب القدس رثيما يتم تهويد شرق القدس وتكريس هذا الوضع فى تسويه مقبلة تريد رعايتها.

والحق أن قرارات مجلس الأمن والجمعية العامة تؤكد وحدة المدينة المقدسة رغم أنه يستحيل عودة غرب القدس إلى حالتها الأولى ، ويكون الموقف العربى قد تعامل مع الواقع وليس مع القانون.

والخلاصه أن خيار العرب بشرق القدس كعاصمة للدولة المأمولة لا يعنى قانونا التسليم بأن غرب القدس صارت أراضى إسرائلية ومن حق إسرائيل نقل السفارات إليها بعد إعلانها عاصمه لها ، بدليل أن العرب والأمم المتحدة يصرون على نقل السفارات إلى أى مكان فى القدس غربها وشرقها ، وأ ن وضع المدينه لابد أن يتم تسويته باتفاق الطرفين ، وهو ما ألمح إليه الموقف الأمريكى ولو من الناحية الشكلية .

فالقانون الدولى يعتمد القدس كلها وحدة واحدة ، وأن كلا القسمين الشرق والغرب محتل من جانب إسرائيل

11

تجديد الخطاب الدينى

فى الثقافة الشعبية

يتردد من حين لآخر مصطلح تجديد الخطاب الدينى منذ عدة سنوات فى مصر ولم يحدد الذين أطلقوا هذا المصطلح المعنى الذى يقصدونه ولذلك ترك لكل أن يحدد ما هو المقصود وفقاً لثقافته ونظرته إلى السلطة وإلى رجال الدين وإلى المصادر التى تشكل هذه الثقافة.

نظر البعض إلى هذا المصطلح على أنه مناسبة لتنقية الكثير من المفاهيم التى تداخلت فى الدين بحكم الواقع والأحداث ولكن نظر البعض الآخر إلى هذا المصطلح على أنه مناسبة للطعن فى ثوابت الدين. وللفريقين نماذج وحوادث متعددة امتلات بها الساحة المصرية مؤخراً لأن هناك فريقاً ثالثاً نظر إلى هذه المسألة على أنها دعوة إلى الانفلات من الدين وغذى هذه النظرة المناخ السياسى الذى ساد مصر منذ عام ٢٠١١ وبشكل أخص منذ الأحداث العاصفة التى وقعت فى منتصف ٢٠١٣. وكان الأزهر هدفاً لكل هذه الفرق خاصة مع تزايد وتيرة الإرهاب الذى فسره البعض صراحة بأنه نتيجة خلط الأوراق فى مصادر الدين بل ذهب البعض الآخر إلى أن الأزهر هو المسؤل عن التعليم الذى أدى إلى الإرهاب. وهكذا وجد الأزهر نفسه ضحية هذه التطورات فذهب البعض إلى أن الهجوم على الأزهر هو جزء من الهجوم على الدين لأن الأزهر هو ترمومتر الحالة الدينية فى مصر عموماً وهو وعاء الثقافة الإسلامية المعتدلة خاصة بعد أن انضمت إسرائيل الي الهجوم علي الأزهر .

فكيف نظر العامة إلى هذه الفرق وإلى هذه المسألة ؟.

نظراً لاعتماد العامة على المؤسسات الدينية ورجال الدين والإعلام فقد ارتبك فهمهم لهذه المسألة كما ارتبك ادراكهم لهذا الجدل. فقد نظر

العامة إلى المطالبة بتغيير المناهج الدراسية والغاء مادة الدين على أنه تراجع عن دعم الدين لأن المدرسة هى الطريق الطبيعى الأول إلى الثقافة الدينية. وفى هذا السياق توجس العامة من هذه المسألة وهذا الجدل.

والحقيقة أن الحديث الشريف الذى ينص على أن الله يقيض لهذه الأمة من يجدد لها أمور دينها كل مائة عام لم يطبق تطبيقاً صحيحاً. الثابت أن الممارسات والحوادث المتتابعة وخلط الأوراق فى الدين والسياسة والاستخدام المتبادل للدين فى السياسة والسياسة فى الدين بالاضافة إلى تصاعد الحوادث الإرهابية وظهور ما يسميه الغرب "الإرهاب الإسلامى" قد عقد هذه المسألة. فقد ظن العامة أن التجديد ينصرف إلى النصوص القرآنية الثابتة والأحاديث النبوية ولكن الحقيقة أن الخلط بين القرآن والسنة واجتهادات الفقهاء والفتاوى وتوالى النوازل وعدم وجود مناعة ثقافية دينية عند العامة قد ساهم فى تعقد هذه المسألة. فلايهتم العامة بما إذا كان القول قرآناً أو حديثاً أو اجتهاداً فقهياً المهم أنه من متطلبات الدين. وعند هذه النقطة تدق العلاقة بين الفرق الثلاثة السابقة وبين موقف العامة التى تشكل الأغلبية الساحقة من الشعوب . فالنصوص القرآنية والسنة ثابتة ولكن المتغير هو خلط الأحاديث بالقرآن وبالفقه كذلك فإن النصوص الثابتة والأحكام القطعية ثابتة الدلالة والنص تدق عند الفتوى فيأخذ الناس الفتوى على أنها صحيح الدين ولما كانت الفتاوى متعددة ومتضاربة ومن مصادر متنوعة فقد التبس على العامة فى هذا الشأن.

من ذلك يتضح أن تجديد الخطاب الدينى مسألة علمية مطلوبة ولكن تحديد المعنى والمطلوب فيها مقدمة ضرورية خصوصاً فى الظروف السياسية التى أشرنا إليها ولا يكفى أن تقوم النخب الدينية بتطوير الخطاب أو تجديده وفق مفهومها الذى يتأثر بموقف السلطة لأن ذلك يهدر معنى تجديد الخطاب ويزيد الشك لدى العامة فى نوايا السلطة كما يزرع الشك وعدم الثقة بين العامة ورجال الدين.

12

تداعيات البعد الإسلامى

فى السياسات الروسية

الاتحاد السوفيتى السابق المستند إلى النظرية الماركسية كان يعادى الدين عموماً وأتباعه (الإسلامى والمسيحى واليهودى) ولكنه كان متسقاً مع المعتقدات والفلسفات الأرضية التى تشيع فى جنوب شرق آسيا والصين واليابان. ولذلك فإن علاقات الاتحاد السوفيتى مع العالم الإسلامى كان لها بعدان الأول بعد سياسى واستراتيجى يرتبط بالصراع السوفيتى الغربى ، والثاني بعد دينى تشعر به الشعوب الإسلامية دون الحكومات. ولذلك عندما قررت واشنطن أن تستخدم الطاقات الإسلامية البشرية والمالية والإعلامية والدبلوماسية فى محاربة الاتحاد السوفيتى كانت الحكومات تتقدم الشعوب فى هذا "الجهاد" وهى كلمة تمقتها الحكومات إلا إذا كانت موجهة إلى أعدائهم فانخرط الشباب المسلم فى "الجهاد" الافغانى وانساحت الأموال الإسلامية لمحاربة الكفر والالحاد السوفيتى والتضامن فى معسكر الموحدين الذى يضم المسلمين والولايات المتحدة ثم اتجهت الحرب إلى الشيشان والبوسنة والهرسك على أساس وحدة العالم الإسلامى ووحدة الجهاد ضد الملحدين والكفار أعداء الله بينما واشنطن هى فى مقدمة أحباب الله. ولا يزال التيار الإسلامى منخرطاً فى الاسترتيجية الأمريكية التى تخطط أيضاً لإعلان إسرائيل الكبرى وضياع القدس.

وبعد تفكك الاتحاد السوفيتى عمدت واشنطن إلى تفكيك الاتحاد الروسى ولكن ظهور بوتين قلب المعادلة حيث أصر على استعادة المجد الروسى ضد أعدائه الأمريكان والجماعات الإسلامية فسوى قضية الشيشان وشرع فى التصدى لأمريكا والتيارات الإسلامية فى كل مكان مما هدد بعودة الحرب الباردة مرة أخرى لولا أن شروطها ليست مكتمله لأن تولى ترامب وتصريحاته العنيفة أقنعت موسكو أن التحدى والاستعداد العسكرى والتحالفات هو أهم الطرق وأنجعها لمواجهة واشنطن مما أدى إلى الفصام

بين أوروبا والولايات المتحدة فى معظم الملفات وانعكس ذلك فى موقف الأطراف الثلاثة : موسكو وأوروبا وواشنطن حول الملف النووى الإيرانى.

وإذا كانت سياسات موسكو فى الأساس هى مطاردة التيارات الإسلامية فى كل مكان وأن سياسات واشنطن هى توظيف هذه التيارات فى حروبها لصالح إسرائيل وضد العالم الإسلامى فإن هناك لحظة تلتقى فيها واشنطن وموسكو فى الكيد للإسلام والمسلمين علماً بأن مبرر موسكو يمكن تفهمه ويمكن رده إلى أصول تاريخية يوم أن كان الصراع دينياً وسياسياً بين الامبراطورية الروسية الاورثوذوكسية وبين الامبراطورية العثمانية الإسلامية ولا تزال ذيول الصراع العرقى أيضاً ملموسة فى البلقان بشكل خاص.

ففى الساحة السورية التقت موسكو مع كل أعداء التيارات الإسلامية وهى مصر وإيران وحزب الله على أساس أن هذه التيارات المتطرفة وخاصة داعش تكفر الشيعة ونشأت خصيصاً لمحاربة إيران والشيعة ولذلك فإن هزيمة داعش أرضى موسكو وأزعج واشنطن وفى الحساب الأخيريعتبر نصرا لموسكو على واشنطن. كذلك فى الساحة العراقية واللبنانية والليبية التى تتجه إليها موسكو حيث تركيبة الصراع فى ليبيا ثلاثية بين حفتر وداعش والتيار الإسلامى وتنحاز موسكو إلى حفتر ضد كل من داعش والتيار الإسلامى.

وقد آن الأوان للتيار الإسلامى -والأقصى فى طريقه للضياع -أن يدرك أن واشنطن وليس موسكو هى التى نجحت فى ظهور مصطلح الإرهاب الإسلامى وهو اتفاق تام بين موسكو وواشنطن تماماً مثلما كان الاتفاق تاماً بينهما على قيام إسرائيل. وليس معنى ذلك أن المنطقة ستكون قسمة بين الطرفين ولكن المنطقة يجب أن تتخلص من عقدة تكفير الشيعة. وعقدة موسكو اتجاه التيار الإسلامى. ولا أدرى كيف يتم ذلك فى هذه اللحظات الحرجة فكل الأطراف أخطأت بمؤامرة أمريكية ودهاء صهيونى وتراجع عربى وإسلامى فهل يجرؤ التيار الإسلامى على أن يستجمع وحدته وأن يعيد النظر فى سياساته وأن يعود إلى العقل وقد يتبع ذلك

الاعتذار لمن أخطأ فى حقه ومنها موسكو والشيعة حتى نتفادى ما هو أبشع مما نخططه واشنطن وإسرائيل لهذه المنطقة وحتى لا يظل الاتهام الصحيح قائماً وهو تمزيق الأوطان الإسلامية لصالح إسرائيل والإساءة إلى الإسلام لصالح أعدائه والتضحية بشباب المسلمين وأموالهم والأبرياء من سكانهم حتى نفوت الفرصة على الحشد والتجمع للقضاء على الشباب المسلم المنخرط فى المنظمات المسلحة التي تحارب فى ساحات خاطئة وحتى نعيده يتسابق إلى الحياة وإعمار الكون وهى فلسفة الإسلام الصحيحة، بدلا من أوهام التسابق إلي الموت.

خصائص الثقافة الشعبية القرآنية

تتسم الثقافة الشعبية القرآنية بعدة خصائص نوجزها فيما يلى:

أولاً: أنها ثقافة تحمل مضموناً وسلوكاً دون أن تمر على العقل ودون صقل هذا العقل واعداده لكى يكون مرجعية حاكمة للصواب والخطأ فى هذه الثقافة وقد حرص رجال الدين والحكام على مر العصور على أن يكونوا هم المرجعية فى الثقافة الدينية حتى يغيروا فيها وحتى تكون هذه الثقافة جزءاً من الريادة والقيادة السلطوية المستندة إلى سلطة ولى الأمر كما يفسرها رجال الدين لتكريس السيطرة السياسية واسناد هذه السيطرة إلى الدين.

ثانياً أن هذه الثقافة استقرت فى العقل الجمعى وصار العمل على تحديها ضرباً من المجازفة يستعدى المجتمع كله فيسارع إلى تكفير كل من يطالب بفرز مصادر هذه الثقافة ولذلك شاع فى الكتابات العربية أن باب الاجتهاد فى الدين قد أغلق وردد الناس هذه العبارة دون فهم ولكن المستنيرين من رجال الدين انتقدوا هذه المقولة ولكن فى مجالسهم العلمية ولم يجرؤ أحد على المجاهرة بغير ذلك وإلا تعرض لهجمة اجتماعية كاسحة أو لانتقاد المجتمع أو تعريض هيبة رجال الدين المستنيرين لنقد زملائهم.

والتاريخ الاسلامى حافل بذلك وأبرز الأمثلة ما حدث مع بعض الأئمة الكبار فى عصور أقرب إلى عصر النبوة مثل الإمام أحمد ابن حنبل فى فتنة خلق القرآن وما لقيه الليث ابن سعد فقيه مصر وإمامها الأكبر الذى قال فيه الإمام الشافعى عندما وصل إلى مصر : رحم الله الليث فقد ضيعه تلاميذه وحنق عليه معاصروه. ومن المعلوم أنه استقرت فى الأقوال الشعبية ما يدل على أن العامة لا يجب أن تخوض فى الدين وإنما تطلب النصيحة من رجال الدين وقد أساء بعض رجال الدين فى بعض العصور تفسير الآية الكريمة "فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون" فجاء هذا التفسير يكرس هذه المقولات فإذا غاب العلم فى الدين عند العامة صار طلب الفتوى فريضة دينية وحيث أن العلم بالدين غائب بالضرورة فإن

مكانة رجال الدين تصبح مكانة رفيعة ليس فقط فى المسائل الدينية ولكن فى الحياة العامة بأسرها وهذا هو الجانب الذى نفذت منه التيارات الإسلامية إلى قضايا السلطة وأدت إلى الصدام بين السلطة السياسية وبينها ولا يمكن تبين الخطأ والصواب إلا بفهم جذور العلاقة بين السلطة ورجال الدين وتوظيف الدين لتبرير تصرفات السلطة وهذا أمر مستقر في التاريخ الإسلامى ولم يكن العز ابن عبد السلام إلا حالة فريدة فى وقت انغمس فيه رجال الدين فى نفاق الحاكم المملوك فى مصر.

ثالثاً: أن العامة لا تميز بين مصادر الثقافة الدينية بل وتخلط بينها فلا تميز بين النصوص القرآنية والأحاديث النبوية والأقوال المأثورة والتى يتم تناقلها بين الناس ولا يهم العامة تحرى مصدر هذه المقولات. ولذلك تفسر هذه الظاهرة انتفاض العامة ورجال الدين ضد من يطالب بتنقية مصادر الثقافة الدينية ويتهم من يقوم بذلك بالكفر والالحاد والخروج من الملة ويحدث فى مصر من حين إلى آخر حالات تعبر عن هذا النموذج ولكنها لم تخضع للتحليل العلمى وكان السائد هو أن يتقدم أحد المحامين إلى النائب العام ضد من يثير هذه القضية خاصة من غير رجال الدين ويتهمهم بازدراء الأديان ويكون مصيره السجن لأن الرأى العام يسبق القضاء ويملى عليه الحكم. هذه القضايا التبست على جميع طوائف المجتمع خاصة عندما يكون المجتمع منقسما وفى حالة هشة فتصبح المعركة بين كل الأطراف الدينية والعلمانية واللبرالية والذين يحملون الغيرة على الدين دون فهم كما الذين يكيدون لهذا الدين عن عمد وتخطيط. فيترتب على ذلك أن معاقبة المتهم تلقى الترحيب من البعض بينما يتباكى البعض الآخر على حرية الرأى مع ملاحظة أن الحالة المصرية تتسم بموقف معين من حرية الرأى السياسى أكثر من حرية الرأى الدينى فيأتى العفو عن المتهم قبل أن يقضى مدة العقوبة أمراً مستهجنا من البعض كما كان سجنه وادانته مستهجناً من البعض الآخر.

ويتفرع على ذلك أن عدم التمييز بين مصادر الثقافة الدينية والأقوال السيارة اختلاف درجة القدسية لكل قول فلا شك أن النص القرآنى أقوى من

الحديث النبوى وكلاهما أكثر قدسية من الحكم الشعبية والأقوال المأثورة وقد شهدنا جدلاً طويلاً حول بعض هذه الأقوال مثل "كما تكونو يول عليكم، واتقى شر من أحسنت إليه، وهذا الجدل كان يمكن حسمه بين المثقفين عن طريق تبين المصدر الصحيح خاصة مع وسائل المعلومات الحديثة ولكن الجهل والمواقف المسبقة والحروب الفكرية هى التى تتخذ هذه الأمثلة وقوداً فى هذه المعركة ".

رابعاً: التعميم وعدم الدقة والتمحيص واصطياد المعانى وتطويعها فى خدمة مواقف مسبقة ويساعد على ذلك الجهل بالقراءة والكتابة مما أدى إلى استحالة الرجوع إلى المصادر وأدى فى نفس الوقت إلى ثقافة التناقل عن طريق الروايات الشفوية وهو طريق محفوف بالمخاطر تكون ضحيته الحقائق فى نهاية المطاف.

تلك هى خصائص الثقافة الشعبية القرآنية ولا يقلل من خطورة هذه الخصائص الحفظ التام للقرآن الكريم على خلفية ثقافية خاوية أو منحرفة والهدف من عرض هذه الخصائص يتجاوز الرغبة فى تحليلها إلى العزم الأكيد على معالجتها لأن العامة هم الأكثرية فى الدول العربية والإسلامية وفهمهم الدقيق هو مقصدنا ومطلبنا.

دلالة الخطاب في النص القرآني

الخطاب في النص القرآني له معنيان، المعنى الأول هو النداء والمعنى الثاني هو مُجمل الرسالة التي يريد القرآن الكريم نقلها إلى الناس.

في هذه المقالة نركز على نداء واحدودلالته وهو" يا أيها الناس" .

وقد حفلت آيات الذكر الحكيم بهذا النداء وإذا أردنا أن نمد البصر قليلا نجد أن خطاب الناس يتساوى مع خطاب الإنسان(يا أيها الإنسان) ومن المعروف أن هناك أختلافًا بين الناس والإنسان ولكن الخطاب يسوي بينهما في معنى أن الإنسان هو المخلوق وإنه في كل المواضع التي ورد فيها ذكر الإنسان كان للوم أو الوصف والخصائص ومن أمثلة ذلك قوله تعالى (إنا خلقنا الإنسان من نُطفة) ،فهو حقيقة ولكن عندما يقول المولى سبحانه وتعالى (يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم) فإن في ذلك لومًا وتقريعًا بخلاف ذكر الإنسان بغير نداء مثل قوله تعالي للإخبار عن حقيقة:

(ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه)

والإنسان هو النوع قبل التكليف الذي نزلت به الرسالات على حقب مختلفة . إذا كان الإنسان في طبيعته قبل التكليف حقيقة ، فأن هذا الإنسان بعد التكليف يتخذ موقفا من هذا التكليف .ولذلك لم يتحدث القرآن بالنداء على المسلمين وإنما تحدث عن المؤمنين مع الفارق بين الإسلام والإيمان.

وأما مصطلح الناس فهو الإنسان وقد تجاوز النوع والطبيعة إلى الاجتماع والتفاعل. والرجوع للإنسان أو الناس يسوي بين الإثنين قبل التكليف ولذلك فهو خطاب عام لا يتوجه إلى أنصار تكليف معين أو رسالة معينة وإنما يبدأ بالطبيعة والجذور مما يجعل الخطاب عاما ومطلقا وهو أصل الخلقة قبل مظاهر الاجتماع كاللغة والثقافة واللون والحضارة والانتماء الديني.

هكذا خاطب القرآن الكريم الانسان بشكل مطلق على أساس أن الناس في القرآن هو الإنسان ويظل التراوح بين الناس والقرآن في الخطاب القرآني ينتج المعاني والدلالات كما أن اتحاد الانسان والناس يدل على ان الجن هو الطرف الأخر لقوله تعالى في سورة الناس "من الجنة والناس ".

الناس او الانسان تدل على وحدة الاصل قبل الاجتماع والتكليف ولذلك فالانسان في كل مجال وعصر هو الانسان يختلف حظه من المُكتسبات الحياتية بحسب البيئة وبحسب النشأة ولكن التشريح والتكوين البيولوجي يقطع بأن الانسان واحد وانه يولد متساويا مع غيره وأن بعد الولادة يكتسب مايميزه عن غيره وهذا هو الأساس الذي يهدر دعاوى التفوق العرقي والعنصرية وغيرها .

هذا الانسان في أي مكان وزمان يمر بدورة واحدة لا تعطلها أختلافات البيئات والاقدار البشرية وهذه الدورة هي أن الإنسان من الأرض ويعيش في الأرض ويعود إلى الأرض وهي قاعدة تنطبق على كل إنسان: ميلاد و حياة وموت وبعث وحساب لن يفلت منها إنسان ولذلك لابد أن نرد البشرية إلى مظاهر الوحدة إلى الانسان الذي له خصائص مُتدنية ولكن الله هو الذي كرمه حتى يظل شاكرا له مدينا لله برفعته للانسان من ضعة.

ومن أبرز صور النداء على الناس في القرآن الكريم نذكر ثلاثة أمثلة هي:

أولًا قصة الخلق، (يا أيها الناس إنا خلقنكم من ذكرً وأنثى :،

ثانيًا : مسألة العبادة لقوله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم) وقوله تعالى(يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم).

ثالثًا: القسم لموازنة طبيعة الإنسان والتثبيت في قوله تعالى (وفي السماء رزقكم وما توعدون) وليس في ذلك نداء ولكن إذا كان من طبيعة الانسان النسيان وعدم التصديق فقد أقسم الله على هذه الحقيقة بقسم خاص في قوله تعالى(فورب السماء والأرض إنه لحقً مثلما أنكم تنطقون)

15

ضرورة المراجعة

فى التيارات الإسلامية وقواعدها

المشهد الإسلامى سببه الأساسى ووقوده هو شباب المسلمين حيث يدفعون إلى الجحيم بدعوي الجهاد وقد قدرت بعض الأوساط أن ضحايا المسلمين طوال العقود الأربعة الأخيرة يتجاوز العشرة ملايين نسمه كما تقدر الخسائر المادية بأرقام فلكية وكل ذلك بسبب الالتباسات الفكرية والسياسية وفقدان المسلم لصلته الحقيقية بالدين ودخول وسطاء فى المسألة كما يعزى هذا أيضاً إلى الاستتباع السياسى فى سياق المؤامرة من جانب الكثير من الحكومات العربية. وكانت النتيجة تدمير أوطان إسلامية بشعوبها وثرواتها وتمكين أعداء الدين منه مما دفع شخصية متوازنة أوروبية وهى المستشارة مركل الألمانية إلى التندر من أن القاتل والقتيل والأرض إسلامية والقرآن هو المرجعية وأن القاتل والقتيل يصيحان وقت القتل الله أكبر فهل هو إله واحد للقاتل والقتيل أم أن لكل منها إلهه.

اتخذ الدمار الإسلامى صورا متعددة وامتد إلى ميادين كثيرة ولكن المحصلة هى ازدهار صناعة السلاح واستنفاد الخيرات الاقتصادية فى العالم الإسلامى فيها وضحايا المحرقة هم شباب العالم الإسلامى وشعوبه.

هذه الورقة تهدف إلى بيان الجوانب المختلفة لضرورة المراجعة : معناها – مضمونها- دواعيها – آثارها، وذلك كأحد الأدوات المقترحة الواجب الملح لاستكمال مشروعنا وهو استنقاذ الدين والدنيا والشباب المسلم فى ساحات الإرهاب التى دفع إليها وتمادى القائمين على هذه الحرفة بأسباب متعددة بعد أن أصبح الإرهاب أداة فى الصراعات الدولية كما بلغ النفاق فى المجتمع الدولى إلى حد أن يتحد كله ولكل دواعيه وحساباته تحت شعار مكافحة الإرهاب وكلهم يسهمون فى تأجيجه فأصبحت الدبلوماسية الدولية تتبنى مصطلح "الإرهاب الإسلامى" وهو الساحة الأبرز فى

ساحات الإرهاب والأكثرإيلاما واتصالا بموضوعنا بعد أن صارت مكونات الدمار كلها تنتسب إلي الإسلام.

وهذه هي الورقة هي إحدي ثلاث ورقات تشكل الإطار الفكري لمشروعنا الحضاري الاستراتيجي.الورقة الأولى التى نشرناها فى هذا الموضوع طالبنا بتفكيك الأسباب التى دفعت الشباب إلى الإرهاب وتعرية الأطراف التى ارتكبت هذه الجرائم وبعضها عربى إسلامى . هذا المشروع هو اتاحة الفرصة للشباب المسلم لكى يتسابق إلى الحياة بأدواتها بدلا من السباق إلى الموت والدمار خدمة للآخرين.

أما الورقة الثانية فهى المشروع الثقافى الذى يسهم فى سد الفجوات المعرفية المختلفة عند الشعب المصرى والشعوب العربية وهذا المشروع يقضى على التطرف وعلى الحكم الدكتاتورى ويستعيد العقل المنتج عند الشباب خاصة والشعب عموما.

أما الورقة الثالثة التى نحن بصددها فتهدف إلى دفع الجماعات والتيارات الإسلامية جميعاً إلى المراجعة الأمينة والدقيقة الشاملة.

معنى المراجعة:

المراجعة تعنى إنهاء مرحلة من السلوك ومراجعتها مراجعة دقيقة واكتشاف أوجه الخطأ فيها وتشمل المراجعة قطاعين القطاع الأول هو علاقة الحاكم بالمحكوم فى الدول العربية وسلوك الشباب المسلم ونظرته إلى الحاكم فى العقود الأخيرة. يرتبط بهذا القطاع شق آخر وهو المراجعة الدينية الدقيقة فى كل الأفكار والاجتهادات التى دفعت الشباب إلى هذا السلوك. وأظن أن نوعاً من المراجعة قد تم داخل التيارات الإسلامية فى السجون المصرية ولكنى أريد أن تكون المراجعة أشمل وأكثر عقلانية ولذلك لابد أن يشارك فيها مفكرون غير منتمين إلى هذه الجماعات والتيارات وأن تكون المراجعة وفقاً للمعاييرالعلمية سواء المراجعة السياسية أو المراجعة الدينية.

أما القطاع الثانى والذى يهمنى فى هذه الورقة وهو صورة الآخر عند الشاب المسلم وشكل العلاقات الدولية ومسالك التكفير بغير المسلم وغيرها من الموضوعات التى يمكن أن تقى الشباب من المزالق وتسنقذ الدين والدنيا من المهالك.

وعلى سبيل المثال هل يدرك الشباب المسلم أن واشنطن ودولا إسلامية زجت به فى ساحات القتال ضد الاتحاد السوفيتى فى افغانستان والشيشان وغيرها تحت ستار الجهاد ضد الشيوعية الملحدة وهل يدرك الشباب العربى الذى انخرط فى الحرب العراقية الإيرانية لأكثر من ثمانى سنوات أن العراق كان جزءاً من المؤامرة التى انتهت إلى ما أنتهت إليه تحت ستار الصراع بين السنة والشيعة فأصبح القضاء على داعش فى الحسابات السياسية انتصاراً للشيعة على الأقليات السنية التى شكلت حاضنة اجتماعية لداعش فضرب الدين والدولة والوطن بالتعقيدات والتداخلات التى أحكم صنعها أصحاب المؤامرة.

وهل أدركت التيارات الإسلامية العربية أن الثورات العربية يجب أن تحرر الأوطان من الحكم المستبد ومن التطرف الدينى والسياسى وليس تولي السلطة لتطبيق معاهيم معينة وما دور هذه الجماعات فى هذه الثورات وكذلك ما مسؤوليتها عن افشال هذه الثورات وإلحاق الهزيمة بالأوطان.

هذان المجالان فى المراجعة، المجال الداخلى السياسى والدينى والمجال الخارجى السياسى والدينى يحتاج إلى شجاعة ورؤية تستطيع أن تتقبل النتيجة وهى أن الجماعات الإسلامية حاربت الاتحاد السوفيتى فى افغانستان فى اطار المؤامرة الأمريكية على الإسلام والمسلمين كما يجب أن يتقبل العقل المراجع أن داعش لعبت دوراً أساسياً فى التمهيد لصفقة القرن التى جلبت حكاماً تابعين للولايات المتحدة وإسرائيل وشعوبا أرهقها الغلاء والقمع والإحباط وتضيع القدس أمام أعيننا ونحن نبسمل ونحوقل ونكثر من قراءة سورة الإسراء ونعتقد أن هذا يكفى لنصرة القدس.

خصائص المراجعة:

يجب أن تتسم المراجعة بخمسة خصائص

أولا: الأمانة والشمول والاحاطة

ثانياً: تنوع الرؤي والزوايا والتمحيص لكل الوقائع.

ثالثاً: الشجاعة فى تحمل النتائج فليس فى القرآن تأكيد بأن كل من قتلوا فى هذه الساحات شهداء وإن كانت تلك نتيجة صادمة لكثيرين ممن لا يزالون يقدرون جهاد المتقدمين منهم.

رابعاً: أن تتم المراجعة وفق الأصول العلمية وبشكل مهذب لاينال من فكروقدر السابقين وكذلك تتسم بالإعذار لكل الذين راحوا ضحية المؤامرة الكبرى على الإسلام والمسلمين.

خامساً: يجب أن تتسم المراجعة بالرغبة فى التصحيح وليس جلد الذات أو خلق عداوات بين المسلمين كما يجب أن تتسم بالأدب بين الفئات العمرية المختلفة وتجنب الاتهامات وإلقاء المسؤولية والتلاوم.

أوضحنا فيما تقدم معنى المراجعة ومن يقوم بها والموضوعات التى تتناولها والآثار الكارثية لعدم الاقدام عليها وكذلك ضوابط المراجعة.

بقى بعد ذلك أن نشير إلى التحديات التى تحول دون نجاحها أو إجرائها وأول هذه التحديات العقلية الدجماتية التى ترفض الاعتراف بالخطأ والتى تثق بأنها تستند إلى المطلق . والتحدى الثانى هو مصادر المعلومات التى تغذى المناقشات فى المراجعة ، ففيها وجهات نظر وفيها وقائع تحتاج إلى تفسير مستقيم وليس تفسيراً غائياً .أما التحدى الثالث فهو الشعور الداخلى عند الاحياء بأنهم لايريدون أن يظلموا الأموات فى باب كانوا جميعاً منخرطين فيه . التحدى الرابع هو العقلية الضيقة التى تغلق نفسها على مفاهيم محددة ولا تقبل مراجعتها فإذا كانت الشيوعية إلحاد والالحاد يعنى انكار وجود الله فهى كفر وأن معتنقيها كفار يجب قتالهم فإذا انحسرت الشيوعية عن وريث أرثوذوكسى متطرف فى وطنيته وفى طائفيته قالوا أنه

العداء الروسى التاريخى للإسلام والدولة العثمانية. مثل هذه التصنيفات الجامدة والجاهزة تخلق صعوبات كبيرة عند المراجعة . فلاخلاف على أن الأطراف المختلفة التى تحارب الإسلام فى صورة الجماعات الإسلامية لها مشكلة مع كليهما رغم أن الولايات المتحدة استخدمت هذه الجماعات لصالحها ربما دون أن تدري إلا أنها ضمن مخططها السياسى تهدف إلى النيل من الإسلام وهذا سلوك رسمى تم رصده وتوثيقه وليس رأياً شخصياً .

وأخيراً، هل كان ظهور التيار الإسلامى فى الثورات العربية ثم الاتجاه نحو السلطة واغفال الحقائق المرتبطة بها تاريخياً فى مصر خطأ أم صواباً رغم ما يراه البعض من أن التيارات الإسلامية تصرفت بشكل طبيعى ولكن فى ظرف غير طبيعى أو تصرفت بمثالية فى وقت أذهبت الواقعية كل أثر للمثالية. وهكذا هشرات الفضايا التي تعرض علي العقل السياسي بلا توترات. وقد لاتكون الظروف مناسبة ولكن الفكرة تستحق التأمل والمناقشة.

وأخيرا ننبه إلي أن هذه الفكرة لاعلاقة لها بمفاهيم المضالحة وأطراف الأزمة المصرية.

16

فى أسباب

تشوه الثقافة القرآنية الشعبية

ذكرنا منذ بداية هذه السلسلة أن هدفها الاساسى هو تقديم الثقافة القرآنية المبسطة والصحيحة للعامة وأن الجدل حول الثقافة القرآنية بين النخب أمر يجب أن يظل بعيداً عن العامة التى تحمل قدراً كبيراً من المهابة للقرآن والدين وتنكر من يتجرأ أو يستخف بالكتاب العزيز أو بشخص الرسول الكريم أو بسنته وقد رأينا كيف انتفض المسلمون فى العالم بسبب الرسوم التى نشرتها بعض صحافة الغرب وتمس شخص الرسول الكريم وكذلك الضجة التى ثارت حتى بين الحكومات الإسلامية فى الثمانينات من القرن الماضى عندما نشرت رواية آيات شيطانية للكاتب البريطانى من أصل هندى سلمان رشدى .

والحق أن العامة تتأثر بالمشاعر وليس بالعقل ولذلك عمد بعض السفهاء من الغرب إلى التذرع للإضرار وايذاء مشاعر المسلمين بما أسماه حرية التعبير فى كل صوره التى يعتز بها الغرب وتنعدم فى الدول الإسلامية وكانت النتيجة أن هذه المشاعر المنكرة لهذه الأفعال قد تطورت فى بعض البلاد إلى أعمال عنف وهى الأمر الوحيد الذى يجمع بين كل المسلمين لاختلاف طوائفهم ومذاهبهم مما أدى إلى المزيد من إدانة الإسلام بسبب سلوك المسلمين خاصة وأن الغرب وعلي رأسه الولايات المتحدة يعتقد اعتقاداً معلنا بأن المشكلة تكمن فى الدين وليس فى أتباعه أى فى الإسلام وليس فى المسلمين وهذا افتراء كبير لأن الدين شئ والمسلمين شئ مختلف ولا يمكن أن نحمل الدين سلوك بعض المسلمين.

والحق أن إدخال الدين فى كل الأمور من جانب المؤسسة الدينية الرسمية سواء دار الإفتاء أو الأزهر الشريف يضلل العامة ويربكهم ويسئ إلى الدين فى نفس الوقت ذلك أن دار الإفتاء دأبت على أن تعلق على كل

الأحداث تعليقات دينية وفى نفس الوقت تطالب السلطة مختلف الطوائف ألا تخلط بين الدين وبين غيره فما علاقة كأس العالم مثلاً بالدين وما علاقة مساندة الشعب للسلطة فى مكافحة الإرهاب بالدين وماعلاقة التصويت ي الانتخابات بالدين وغيرها من الأمثلة التى لا يمكن استحضارها فى هذا المقام مما جعل العامة يتساءلون حول علاقة الدين ومصادره المختلفة بذلك خاصة وأن الدين قد اقحم فى السنوات الأخيرة فى مناسبات غير دينية واختلف المشايخ مثلاً حول ما إذا كان الحجاب فريضة دينية كما اختلفوا حول علاقة الدين بختان الاناث وما علاقة الدين بما إذا كان الشاب الذى مات وهو يحاول الوصول إلى أوروبا في هجرة غير شرعية شهيداً أو جشعاً وغير ذلك من القضايا التى تنزل الدين من مكانته الرفيعة إلى مستوى الأحداث التى تملأ الساحة يومياً.

وخلاصة القول أن المحافظة على الثقافة الصحيحة الدينية للعامة تقتضى إبعاد الدين عن التبريرات التى لا تليق به وكذلك المحافظة على هيبة المؤسسات الدينية الرسمية خاصة تلك التى تصدر الفتاوى فى المسائل الدينية الدقيقة فى وقت انطلق فيه الدعاة الجدد والفتاوى المتناثرة التى أثارت الكثير من القلق لأنها تشوه وتربك الدين والفكر الدينى عند المتخصصين وعند العامة بشكل خاص.

17

مخاطر

تشويه الدين بالإيهام بالتخصص فيه

الغرب ليس شيئا واحدا وإنما فيه حكومات وشعوب، متخصصون ومتعلمون وغير ذلك، مهتمون بالإسلام عبادة وثقافة وغير مهتمين، وعلاقتهم بالإسلام إما جار مسلم أو معاملات مع مسلمين أو الإعلام أو الحوادث وكلها مؤسفة، أو المناسبات الدينية التى تحدثها هذه الدول عادة. ولا يدقق الناس عادة فيمن يؤخذ عنه ومن يترك ولذلك يفترض فى صاحب الزى الدينى أن يمثل هذا الدين على الأقل لدى عموم الرأى العام.

وهناك موضوعات يركز الغرب عليها ويتخذ منها مواقف مسبقة تسئ إلى الإسلام، فإذا زودهم شيخ بمعلومات تكرس رأيهم وموقفهم، فإنهم يرحبون به ولا أدعى أننا يمكن أن ننقى مصادر صلة الغرب بالإسلام جميعاً مما علق بها، ولكن الغرب يقع فى خطأ كبير طوعاً أو سهوا وهو أنه يعتبر الأقوال والسلوكيات والحوادث من الأفراد والدول هى الإسلام، تماما كما نعتبر عموماً أن سلوك المسيحى أو اليهودى هو المسيحية أو اليهودية، ونقع فى حرج شديد عندما نبني مواقف ضد عقيدتهم انطلاقا من نقد سلوكهم.

ونسوق عددا من الأمثلة التى تشرح هذه المقدمة.

المثل الأول أن محطة ال بى بى سى تذيع مقابلات ومواد تسجيلية مع بعض الرموز الإسلامية وقد تابعت لقاءاً إعلامياً مع أحد رموز الإسلام فى إفريقيا، فهو يرتدى زيا دينياً ويرد على الأسئلة باعتباره يمثل الإسلام والناطق باسمه فى مسائل اجتماعية حسم الغرب موقفه منها منذ قرون وهى الاختلاط بين الجنسين وأن القانون وليس الدين هو الذى يحكم المجتمع. فأفتى الشيخ بشكل واثق وقاطع بأن الاختلاط بين النساء والرجال

محظور بنصوص من الكتاب والسنة. وذكرنى ذلك بتعدد فتاوى رجال الدين حول هذه المسألة، وكأنها تتطور أو يتغير موقف المفتى حسب فهمه الجديد للنصوص. وفشل الشيخ في أن يحدد نصا قرآنياً أو حديثا نبوياً، وقس على ذلك مسألة الحجاب : هل هو أمر دينى أم عادة اجتماعية، مما أوقع فى روع السامع والباحث أن هناك نصوصاً قاطعة فى الكتاب والسنة وأن اجتهادات الفقهاء تنطلق من هذه النصوص . ومادامت النصوص ثابتة، فإن اختلاف الفتوى يرجع إلى ظروف الفتوى، وحالة المفتى وتطور موقعه، وهذا يقدم صورة مرتبكة وسيئة للإسلام.

المثل الثانى هو اعتماد القاتل والقتيل والإرهاب والسلام على استدعاء آيات من القرآن وأحاديث من السنة تدعم وجهة النظر المعينة، مما دفع السيدة ميركل مستشارة ألمانيا أن تعبر عن دهشتها لأن القرآن يبرر عند داعش القتل ويستعيذ به القتيل وكلاهما يصيح فى نفس اللحظة "الله أكبر". فإذا كان المشايخ يصورون الإسلام بأنه ضد الديمقراطية وهى بدعة وضلالة دون فهم للدين وللديمقراطية ودون أسانيد علمية وقلب الحقيقة التى تقول أنه إذا كانت الديمقراطية هى الحرية وعدم العبودية وهى الكفاءة والمحاسبة وليس الظلم والمحسوبية فهى أقرب إلى تعاليم الإسلام ولو لم يظهر اللفظ فى النصوص الإسلامية.

المثال الثالث هو إقحام الدين فى الخلافات السياسية فعندما كان شاه إيران حليف واشنطن وإسرائيل فى السلطة، كان التحالف وثيقاً بين إيران والعرب وعندما رحل الشاه تمسكت الجماعات الإسلامية بأن الشيعة كفروا ومن ثم وجب قتالهم وتبرير ذلك بفهم مغرض لأحكام القرآن، وهم يعلمون أن القرآن يتحدث عن إسلام واحد غير منقسم مادام الجميع يؤمنون باله واحد ونبى واحد، وكتاب واحد وقبلة واحدة وأركان واحدة.

يتصل بذلك تكفير المسيحى استنادا إلى ظاهر النص القرآنى وترتيب سلوكيات عدائية ضده، وكذلك تكفير اليهودى بتيريرات دينية وكلاالموقفين من المسيحى واليهودى له دوافع سياسية فى قاع الشخصية. وإذا كانت الجماعات الإسلامية تتخذ هذه المواقف وتبررها بنصوص دينية أو بحكم

العلاقات التاريخية بين الرسول صلى الله عليه وسلم ويهود المدينة فيعتبرون أن عداء اليهود جزء من سنة الرسول العظيم، وأن القرآن نفسه يكفر المسيحيين، فهذه مواقف سياسية أو فهم دينى خاطئ هدفه تمزيق المجتمعات العربية.

المثال الرابع ربط الإسلام بالإرهاب وشيوع مصطلح الإرهاب الإسلامى. المعلوم أن العمل الإرهابى لا علاقة له بأى شريعة أو عقيدة سماوية أو فلسفة أرضية وأن سلوك أتباعها لايمكن أن يحسب على هذه العقائد مثل الهندوس والبوذيين.

ومع ذلك لم يتنبه المسلمون إلى أنهم مكنوا الطرف المتآمر بسلوكهم من انطلاق هذا المصطلح وهو الإرهاب الإسلامى ولايزال شبابنا وقود للمؤامرة التى تنال من هذا الدين ولمصلحة المؤامرة وأعداء الأمة: أليس فيهم رجل رشيد؟!.

المثال الخامس هو وضع اليهود فى القرآن الكريم

القرآن هو الكتاب الأخير مصدقا لما قبله من كتب مقدسة وأخبرنا عن هذه الشرائع وسلوك أتباعها فقد نزلت اليهودية مصدقة لجوهر الدين وجاءت المسيحية مصدقة للكتب السابقة على لسان عيسي بن مريم وجاء القرآن مصدقا لما سبقه ويلفتنا القرآن إلى أن أهل الكتاب هم سبب مشكلة التفرق والتشتت فى دين واحد له جوهر واحد. ولكن يهود إسرائيل لم يعجبهم روايات القرآن عن سلوكهم وكفرهم بلفظ القرآن، فحاولوا أن يصرفوا المسلمين تحت ستار التسامح والسلام مع العرب عما ورد فى القرآن، وكأن ظلال السياسة تريد أن تطمس ما ورد فى القرآن، لكننا يجب أن نتعامل مع مقتضيات السياسة بالسياسة.

كذلك يفترق المسار السياسى مع مسار دينى معين لايجد له سندا وهو تمسك بعض التيارات الإسلامية بأن العداء لليهود سببه سنة الرسول الكريم بعدائهم. كما يتذرع رجال الشريعة اليهودية بالتوراة لتبرير قسوتهم واحتقارهم للعرب .والحقيقة أن اليهود الذين تآمروا على الرسول وأن هذه

الأحداث حسمت وانتهت، فلا العداء لليهود سنة، ولا التحالف معهم محظور سياسياً وأن الحظر الدينى فى القرآن ينصرف فى ظنى إلى إغفال طبائعهم الشهيرة الراجعة ليس إلى دينهم وكتابهم وإنما إلى سلوكهم الذى لايحفظ عهداً ويتحايل على أحكام السماء.

وأما يهود إسرائيل فلا علاقة لهم باليهود فى القرآن، لأنهم عصبة سياسية جاءت لاغتصاب فلسطين باسم كتاب محرف.

18

مركز الرجل والمرأة

فى القرآن والثقافة الشعبية

لاخلاف على أن الثقافة الاجتماعية الشعبية السائدة التى استقبلت الإسلام فى البيئة المصرية لها اثر كبير على فهم العامة للدين، ناهيك عما لايزال هناك من يخلط الأوراق حول المسلمين والمسيحيين منذ الفتح العربى الإسلامي لمصر.

كذلك فإن الثقافات والمعتقدات التى لابست فهم العامة لمصادر الدين خاصة من رجال الدين الذين تمتعوا بسطوة وصلت إلى حد الدعوة إلى تجميد العقل وترك مسائل الآخرة كلها فى رقاب رجال الدين مما كرسته الأمثال الشعبية،(حطها في رقبة عالم واطلع سالم) وكان ذلك واضحاً طوال القرون الماضية سواء كان رجال الدين من المذاهب السنية أو الشيعية. ولكن فى النهاية استقرت مفاهيم للدين لا أصل لها فى الدين ولكن المجتمع هو الذى يضع المفاهيم والأعراف الاجتماعية التى لايميز الناس بينها وبين الدين بل إن البعض يلبس الأعراف الاجتماعية ثوب الدين، فظهر العيب والحرام ولم يفرق الناس بينهما بل إن العيب كان أقوي من الحرام والعيب مفهوم اجتماعي بينما الحرام مفهوم ديني.

فهناك أمثلة ظاهرة على طغيان المفاهيم الاجتماعية وإلباسها صفة دينية نذكر منها ثلاثة:

أولاً: ترديد أن المجتمع العربى مجتمع ذكورى منذ ما قبل البعثة وأن الدين والأعراف القبلية القديمة تحالفت على تسيد الرجل واستضعاف المرأة، وتلك كانت حالة المرأة عموما ي العالم وفسر هذا الفريق توصيات الرسول الكريم بالرفق بالمرأة على أنها محاولة لإصلاح الوضع الاجتماعى والتخفيف من وطأته. وقد لاحظ المجتمع العربى تلهف الأسرة

على ميلاد الابن الذكر وعدم احتفالها بالأنثى وهو امتداد لعادات العرب التى كانت تفخر بالمولودالذكر وتتوارى عن القوم إذا بشرت بالأنثى. ورغم أن الإسلام لا يعترف بالتمييز بين المرأة والرجل ويتعامل معهما على قدم المساواة مما تكرسه الآيات الكريمة والسنة النبوية المطهرة إلا أن العامة تمسكت بذكورية الدين بل استدل بعضهم علي ذلك بأن الله أرسل رسله رجالاً ولم يبعث أنثى كما بعث ملائكة رسلا.من ناحية أخري استنكر القرآن الكريم تسمية الشعوب للملائكة تسمية الأنثي.

وفى التطبيق ساد الاعتقاد بأن للذكر مثل حظ الأنثيين فى كل شئ حتى فى توزيع الطعام وفى فرص الحياة مما فتح باباً واسعاً للمغالاة في ذلك بل إن بعض المناطق فى مصر تنكر حق الأخت فى الميراث وعلى نقيض ذلك فإن بعض الدول الإسلامية كرست مبدأ المساواة فى الميراث بين الأخ والأخت مما يعد تجاهلا واضحاً لنص واضح فى المواريث. كذلك اعتقد الرجل أن بيده كل شئون المرأة انطلاقاً من فهمه الخاطئ لقول الله سبحانه وتعالى "الرجال قوامون على النساء "وفهموا القوامة على أنها الوصاية واستدلوا على ذلك من سلطة الرجل على أسرته وكذلك فى أن الرجل هو الذى يتزوج المرأة كما أن بيده الطلاق أو حل عقدة النكاح .

هذه المفاهيم الاجتماعية تجد أصلاً خاطئاً فى فهم القرآن الكريم ولذلك نشأ صراع بين أحكام الدين الصحيحة وبين الأعراف والعادات الاجتماعية خصوصاً فى المجتمعات المنغلقة.

ثانياً: فهم العامة لفكرة المساواة بين الرجل والمرأة ذلك أنه فى المدرك العربى والمصرى فهم خاطئ للدين رغم أن التراث المصرى منذ الفراعنة حافل بتكريم المرأة واطلاق قدراتها وعدم الجور عليها.

ثالثاً: أن المشاعر العامة لعامة الشعب تتوجه بشكل عكسى وهى تعتقد أنها تدافع عن الدين وقد تجلى ذلك بشكل خاص عندما بدأ الغرب يركز على نقد الإسلام وهو فى الواقع ينقد الاعراف الاجتماعية. فقد طالب الغرب دائماً بأن الدول العربية تعانى من تدهور مكانة المرأة فى المجتمع وهم لا يعرفون أن الأسرة فى الشريعة الإسلامية كل متكامل ونظام محكم

ولذلك فإن هذه الدعوات لتحرير المرأة استفزت العامة واعتبرت ذلك مؤامرة على الدين من باب المرأة فانطلقت ردود الفعل العشوائية وليست المدروسة ضد هذه الدعوة وزاد من تعقد الموقف أن هناك نفاقاً اجتماعياً عالى النبرة فى مصر حيث أنشئت المجالس المتخصصة لشئون المرأة وتتحدث عن تحريرها بينما تقصد مفهوماً محدوداً لذلك لأن تحرير المرأة من عوائق انطلاقها وتقدمها مرتبط ارتباطاً وثيقاً بتحرير المجتمع ومستوى الحرية فيه ولا أظن أن مصر ضبطت إيقاع فكرة الحرية فى المجتمع وللمرأة بشكل يحررها من التراث الذى عرقلها خلال السنوات القليلة الماضية ولعل أو ل درجات تحرير المرأة هو دراسة نوعية البيئة والتحديات التى تحيط بها فالاوضاع الاقتصادية والأمية والتقاليد الاجتماعية هى التى تفرض سلطانها على المرأة وتجعلها رقماً ضعيفاً فى المعادلة الاجتماعية.

وأخيراً فإن الإسلام لا يميز الرجل عن المرأة بل حث على رعاية المرأة والعطف عليها والرفق بها حتى أن خطبة الوداع أوصت بالمرأة واليتيم باعتبارهما طائفتان تستحقان الاهتمام .

19

معنى الجهاد فى الثقافة القرآنية

استقر معنى الجهاد فى الثقافة القرآنية الشعبية عند مفهومه التاريخى أى أن المجاهد هو الذى اشترك فى الفتوح الإسلامية وأنه ذلك الذى آمن بالرسالة وبذل روحه للدفاع عنها. كما ارتبك العامة فى التوفيق بين الفتح بالسيف، ومقولة أن الإسلام لم ينتشر بالسيف. وبالطبع لم يفهم العامة الأضواء الكاشفة التى ألقاها المفكرون مثل العقاد وطه حسين، أو رجال الدين مثل الأئمة وبعضهم كانوا شيوخاً للأزهر، كما لم يتعقبوا الفتاوى المختلفة التى ظهرت فى هذا السياق.

لاشك أن الجهاد فريضة إسلامية، كما أن الإسلام انتشر بالإقناع والهداية اما الحقيقة الثالثة فهى أن الأمم السابقة كانت تتوسع بسبب توفر القوة وفائضها على حساب الأمم الأخرى، وكلما كان التوسع لأسباب أيديولوجية سياسية أو دينية أو حتى أسباب اقتصادية، كان القتال صلبا وحازما.

هكذا تمكن العثمانيون من توسيع رقعة بلادهم وأنشأوا الامبراطورية العثمانية، وهكذا تحارب الصفويون فى إيران بعد تحول إيران إلى المذهب الشيعى مع العثمانيين السنة، فكانت حروبا لها دوافع سياسية تتصل بمنطق الغلبة والنفوذ، وفى الباطن منها أسباب طائفية، وإن ركزت الكتابات الغربية على هذا الطابع وحده .أما الحروب الصليبية فكانت تحت راية الصليب ظاهرها دينى وباطنها أسباب كثيرة لا مجال لاستقصائها وقد حاولت بعض الكتابات وهى تدفع عن الفتوح الإسلامية طابع الغصب والغلبة أن تركز على أن المسلمين فاتحين وليسوا غزاة مع أن اللغات الأوروبية لا تعرف معنى الفتح لأن معناه قاصر على المسلمين فهو فتح من الله عليهم بسبب إيمانهم فنصرهم الله على عدوهم، ماداموا يقاتلون لنشر الدين.

من ناحية أخرى، حاولت هذه الكتابات أن تشير إلى أن المسلمين الفاتحين كانوا يحاربون المحتل الأجنبى للبلاد التى فتحوها ولم يحاربوا أهل هذه البلاد، وأن هذه الحرب هدفها تحرير إرادة الناس فى هذه البلاد فلا يقهرون على دين معين استنادا إلى أن القرآن يؤكد على حرية الاعتقاد مادام علاقة خاصة بين الإنسان والخالق. فكان المسلمون يقدمون لأهل هذه البلاد الدين الصحيح بممارساتهم وسلوكهم وعملهم بعد أن حرروهم من ربقة العبودية الدينية والسياسية لغاصبيهم الذين هزمهم المسلمون.

ويجب أن نحذر فى هذا المقام بين الدين وتعاليمه التى لاتتغير، وبين تفسيرات الدين لأسباب سياسية، وحروب الفرق والتشرذم الدينى، وانقسام الإسلام إلى فرق أبرزها السنة والشيعة وعدم التسامح إزاء المنتمين إلى كل طائفة مما كان واضحاً تماما على صفحة التاريخ المصرى الذى شهد موجة الفتح الأولى على يد عمرو بن العاص، ثم الفتح الفاطمى وعصرهم الذي استمر عدة قرون، ثم استواء المزاج المصرى الطبيعى فى عهد الظاهر بيبرس ومماليكه الذي خصص لكل مذهب من كل المذاهب مكانا فى الأزهر فى التعليم والفتوى، ثم فرضت الظروف السياسية على العصر الأيوبى مسحة من التعصب لطائفة دون أخري ، وهكذا إلى أن انتهت مصر الآن إلى أرجح الأقوال فى مذهب أبى حنيفة دون إقلال من المذاهب الأخرى.

ويوضح المقزيزى فى كتابه مذاهب أهل مصر وعقائدهم الذى حققه د. أيمن فؤاد فى مركز تحقيق النصوص بجامعة الأزهر ونشر بالقاهرة عام ٢٠١٦ تصارع الفرق بسبب السياسة، بينما الدين واحد وهو حجة عليهم جميعا.

وعندما تغلب الغرب والصهيونية وابتدع ما أسموه الإرهاب الإسلامى زوراً وبهتانا وهم صانعوه، حاول البعض الانسحاب قليلا بتخفيف معنى الجهاد على أنه جهاد النفس وليس جهاد الآخر. ثم تفاقم التيار اللبرالى والعلمانى غير المستنير، فأراد التقرب من المتغلب الصهيونى فظهرت مقترحات تبدأ بإلغاء آيات الجهاد وشطب أسماء الفاتحين الكبار:

عقبة بن نافع وصلاح الدين بحجة أنهم بوجهون الصبية فى المدارس نحو العنف والإرهاب. وبدلا من الاعتزاز بماضينا الذي كان الصراع فيه بالسيف وكنا نحن ندافع عن أنفسنا صارت الشخصيات الإسلامية عند هذه النفوس المريضة تذكارا لإرهاب المسلمين. وفى دراسة لى لم تنشر حول أثر النفوذ الصهيونى على قضية القدس فى المقررات الدراسية العربية هالنى مساحة التراجع والتزوير فى تاريخنا واستباحة الحاضر بحساباته السياسية لصفحات التاريخ الإسلامى، خلافا للحقيقة التاريخية ومنهج البحث التاريخى نفسه الذى لا يجيز تغيير التاريخ إلا بوثائق جديدة، وليس بنفاق سياسى طارئ مرتبط بحالة الهوان التى تعانيها الأمة.

فهل الجهاد عند العامة مسألة تاريخية أم حقيقة قرآنية وكيف يفرق العامة بين استخدام الجهاد وانتحاله زورا وبين حقيقته القرآنية هذا هو موضوع مقالاتنا القادمة.

20

مكانة الرسول فى القرآن والثقافة الشعبية

درج العامة على تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم واعتباره أفضل خلق الله وأنه سيد الرسل والأنبياء وقد ساهمت الاذكار والطرق الصوفية فى رسم صورة الرسول صلى الله عليه وسلم كما هى المسافة الفاصلة بين صورة الرسول ومكانته فى القرآن الكريم وبين صورته ومكانته فى الثقافة الشعبية خاصة وأن العصر الفاطمى فى مصر قد أسهم شكل كبير فى تعظيم هذه الصورة وادخل الكثير من المستجداتن مثل المولد النبوى الشريف وغيرها.

فى القرآن الكريم للرسول مكانة خاصة ولكن لا يجوز لنا أن نمايز بينه وبين باقية الأنبياء والرسل والله يعلم حيث يضع رسالته وهو وحده الذى يرتب أنبيائه ورسوله وفقاً لما تقتضيه مشيئته. فيمنكن أن نمييز بين المكانة الشخصية والمكانة الرسمية للرسول فقد خصه القرآن الكريم بأهتمام خاص وقرنه فى معظم الأحوال لله سبحانه وتعالى وأمر المؤمنين بأن يأخذوا عنه بشكل مطلق وهو ما دعى بعض الفقهاء من الناحية الاكاديمية إلى تجزئة السنة مثل الشيخ محمد الغزالى وهو أمر لا يليق بالعامة أن تتداوله لأن قدسية السنة عندهم لا تتجزأ. فمحمد فى القرآن هو آخر الأنبياء والرسول وبه تكتم الرسالة والرسالة هى الإسلام الذى نزل به أدم عليه السلام وأخذ الله الميثاق على أدم وبنيه وعلى النبيين وقال سبحانه فأسهدوا وأنا معكم من الشاهدين ولذلك اكتسبت سنته مكانة خاصة بخلاف ما تعلق ببقية الأنبياء والرسل فلا نكاد نلحظ أن لهم سنن مقابلة لسنة الرسول. وقد استخدم القرآن الكريم أوصاف متعددة للرسول فهو رسول ونبى ومحمد وأحمد وهو المدثر لسورة المدثر وهو الذى يعتز بأن الله قد أدبه فأحسن تأديبه وقد أصدر القرآن شهادة من الله على حسن خلقه بقوله تعالى وإنك لعلى خلق عظيم. كذلك كان الرسول قدوة فى تجسيد الرسالة وتطبيقها حتى تكون فى متناول البشر مادام الرسول بشراً رسولا كثائر الانبياء والرسول

ولهذا السبب ورد فى القرآن بعض التفاصيل عن حياته الخاصة مما أربك بعض الفقهاء حول ما يتبع من سنته وما يترك وهو ما فصله بعض الفقهاء مثل الشيخ محمد الغزالى والشيخ محمد الشعراوى وغيرهما.

أما العامة والثقافة الشعبية فهى لا تميز بين حياة الرسول الشخصية وبين رسالته الرسمية ويقصد بالرسالة الرسمية التفويض التشريعى الذى اختص الله رسوله به دون سائر الأنبياء والرسول والذى عالجناه بالتفصيل فى كتابنا حول الاعجاز القانونى والتشريعى فى القرآن الكريم وليس من شأن العامة أن تميز بين مكانة السنة فى القرآن الكريم وبين عموم سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم فى الاذكار وعند الصوفية فكلها تحضه على حبه والتعلق به والاقتداء به وهى من ركائز القرآن الكريم كذلك تفهم العامة أن سنته المطهرة متصلة فى حياته وبعد موته ولكن لا يجوز للعامة أن تخلط بين الطابع الإنسانى للرسول أو البشرى وبين سائر البشر فبشريته مرتبطة ارتباطاً عضوياً بنبوته. ومما يجرح شعور العامة تلك البحوث الاكاديمية التى يتداولها المتخصصون ولذلك استهجن الناس كل الاجتهادات التى خرج بها البعض فى الإعلام أو فى الجامعات فقد استشعر العامة أن الدكتور نصر أبو زيد قد انحرف عندهم عن المسار عندما انتقد انتقاداً مبالغاً فيه الامام الشافعى وتحدث عن القرآن بما لا يليق بقدسيته واعتبره مرتداً ولكن للأسف كان هذا الحكم الشعبى مطابقاً لحكم محكمة النقض المصرية.

والخلاصة أنه من الضرورى على عاطفة العامة اتجاه الانبياء والرسول وأن تعظيمهم للرسول صلى الله عليه وسلم له سند حقيقى فى القرآن الكريم وليس مطلوبا تصويب موقف العامة أو إلغاء المسافة الفاصلة بين محددات مكانة الرسول فى القرآن وبين فهم العامة لأن هذا الفهم لا يتناقض مع هذه المحددات .

21

مواقف الحكومة البريطانية

من الاسلاميين البريطانيين في سوريا!

نشرت الصحف أن الحكومة البريطانية تبارك مشاركة الإسلاميين البريطانيين في سوريا ضد نظام بشار الأسد، بينما استنكرت إحدي السيدات من الإسلاميين البريطانيين في حادث نيروبي في سبتمبر الماضي ومقتل عدد من الخاطفين والمخطوفين وترويع السلطات في نيروبي. وفي مشهد ثالث سبق للمحاكم البريطانية أن حكمت بالسجن المؤبد علي الإسلاميين البريطانيين الذين حاربوا الجيش البريطاني في العراق مع المقاومة العراقية.

في الحالة الكينية كان واضحاً أن العملية ارهابية بكل المقاييس ومن ثم فإن تبرؤ الحكومة البريطانية من السيدة الإنجليزية التي اشتركت في العملية كان منسجما مع القانونين الدولي والداخلي، ومع السياسة العامة للمجتمع الدولي.

اما في الحالة العراقية فإن الجيش البريطاني قد اشترك مع الجيش الأمريكي في غزو العراق وتدميره، وبذلك إرتكبت بريطانيا والولايات المتحدة جريمة العدوان علي العراق، واستندت الدولتان فى نفس الوقت علي معلومات صنعت خصيصاً في أجهزة المخابرات لإقناع العالم بخطر العراق، وصدام حسين، وأن عدم تمكين واشنطن من استصدار قرار من مجلس الأمن لا يجوز أن يكون حائلاً دون أن تهب لدفع الخطر، مما يعني ان واشنطن قد قدمت تبريرات مزورة لكي يقبل المجتمع الدولي بجرائمها في العراق، ولكي ينسي أن هذه الحملة مدبرة وفقاً للوثائق الأمريكية منذ أحداث سبتمبر المدبرة هي الأخري. بل كادت الولايات المتحدة أن تشعر العالم بفضلها وتضحياتها في سبيل دفع الارهاب عن المجتمع الدولي. صحيح أن احداث سبتمبر وغزو العراق يفصل بينهما ٣ أعوام إلا أن

مخطط غزو العراق كان قائماً عام ٢٠٠١ مع مخطط غزو أفغانستان، ولكن رأت واشنطن لأسباب لايزال معظمها مجهول المبادرة بغزو افغانستان حتي تجهز وتمهد لغزو العراق.

عند هذا الحد، شعر الإسلاميون البريطانيون بأنهم في خيار بين الدين والدنيا، بين الحق والباطل، بقطع النظر عن التقاطعات القانونية والسياسية في عالم اليوم. فالإسلامي البريطاني يتمتع بالجنسية البريطانية ويترتب عليها الولاء للجيش البريطاني حتي لو كان يقوم بحرب عدوانية، أي أن ينحاز إلي متطلبات الجنسية علي معطيات الحق. وهذه نقطة واجهت عددا كبيرا من المجندين والعسكريين البريطانيين والأمريكيين في مختلف الحروب، مما أضطر بعضهم إلي الهروب من ساحات القتال واللجوء إلي دول أخري. وقد شهدت المحاكم الكندية الكثير من حالات طلب اللجوء من هؤلاء "الفارين من الخدمة" Deserters وقد رفضت المحاكم الكندية طلبات اللجوء بسبب تدخل الحكومة الأمريكية، وهذا سياق أخر مختلف في حديثنا.

المهم في هذا المشهد، هو أن المواطن البريطاني الإسلامي والمسلم أيضاً قد انحاز إلي المقاومة العراقية التي تقف في معسكر الدفاع عن الوطن المعتدي عليه كما أنها تقف في المعسكر الإسلامي الذي ينتمي إليه، أي أن هناك انسجاماً بين الاساس القانوني والاساس العقائدي، وهذه نقطة بالغة الخطر لم يتمكن الأسلاميون من حلها حتي الآن، فانحازوا إلي الجانب الأيديولوجي وتجاهلوا أمرين خطيرين: الأمر الأول، المعطيات القانونية والسياسية التي تحكم العلاقات الدولية. والأمر الثاني، المصالح العليا للعالم الاسلامي التي تستعلي علي تفاصيل الساحات المختلفة. المواطن البريطاني الذي ذهب يقاتل لإعلاء الأخرة علي الدنيا، والحق علي الباطل، والإسلام علي غيره تصادم مع حقائق أخري، وهي أنه يقاتل الجيش البريطاني أي يرتكب جريمة الخيانة العظمي؛ لأن قرار ارسال الجيش من عدمه تنفرد به السلطة السياسية في بريطانيا. فإنتماء الإسلامي البريطاني إلي أمتين دخلتا في صراع في لحظة معينة هما الأمة البريطانية والأمة الإسلامية جعلت من الصعب عليه أن يفصل هذه الخطوط المتشابكة، فقررت المحاكم

البريطانية السجن مؤبد بسبب الخيانة العظمي. وأذكر أنني أثرت هذه الواقعة وغيرها في كوكبة من علماء المسلمين في رابطة العالم الإسلامي حول الأمة الإسلامية في الواقع الدولي المعاصر، وناشدت علماء الأمة والمخلصين من علمائها في فروع مختلفة أن يوجدوا حلاً مرضياً للصراع بين الأمة الإسلامية وهي أمة قرآنية، وبين الأمة في الواقع الدولي المعاصر، وهي امة قانونية واجتماعية وسياسية. يتصل بهذه النقطة مباشرة، أن الدول العربية التي شجعت مواطنيها لمحاربة الإتحاد السوفيتي "الملحد" في أفغانستان، هي نفسها التي زجت بهم في السجون وأطلقت عليهم "العائدون من أفغانستان،" فأصبح لدينا فريق "العائدون "من أماكن متعددة؛ من سوريا، من ليبيا، من لبنان، من فلسطين، من أفغانستان، من العراق وغيرها. هؤلاء العائدون هم الآن في السجون العربية. كما نذكر في هذا المقام أن الخطباء في المملكة العربية السعودية كانوا قد انقسموا حول هذه المسالة، فشجع بعضهم الشباب علي مقاومة الإحتلال الأمريكي للعراق، بينما اعتبر غيرهم انها فتنة لا يجوز الدخول فيها. كما أن الاحتلال الأمريكي كان يستهدف الإطاحة بديكتاتور كان يخطط للإضرار بالمملكة مما جعل الدفاع عن العراق في هذه الحالة عملاً يخرج عن سياق الوطنية بالمفهوم السعودي، وهذا هو أساس الارهاب الحالي في المملكة العربية السعودية، ولذلك تقوم الدولة إلي جانب المعالجة الأمنية بمعالجة انسانية للحفاظ علي شبابها من تشابك الخيوط والأوراق.

في المشهد السوري، تؤيد بريطانيا تأييداً موصوفاً المعارضة السورية المسلحة، ولكنها تنتقد بشدة الجرائم التي ارتكبت ضد الشعب السوري من المعارضة والنظام مثلما تقف بشدة مع التسوية السياسية للمشكلة.

في إطار الموقف الرسمي البريطاني أصبح مشاركة الإسلاميين البريطانيين مع المقاومة أمراً لا اعتراض عليه، ولكنه يثير مخاوف الحكومة البريطانية من منظور آخر، وهو أن قوة التيار الإسلامي وخصوصاً الجماعات التكفيرية فيه سوف يصيب المجتمع البريطاني والدولة مثلما حدث في الأعمال الارهابية التي وقعت في بريطانيا منذ عدة سنوات. مع ذلك يبدو أن هناك تناقضاً بين الموقف التكتيكي البريطاني وبين

المصلحة الاستراتيجية في مجمل النظر إلي التيار الإسلامي. يترتب علي ذلك أن الحكومة البريطانية لا تري سبباً لإدانة الإسلاميين البريطانيين أمام المحاكم البريطانية مثلما حدث في العراق. ومعني ذلك أن موقف بريطانيا السياسي هو الذي يحدد في كل مشهد علي حدة الموقف من الإسلاميين البريطانيين، وليس مدي تطابق هذا الموقف مع التقاطعات القانونية الدولية والوطنية.

دور الضمير والقانون فى ضبط السلوك فى مصر

كلمة الضمير لا تشيع إلا فى المجتمعات العربية الإسلامية رغم أن مفهوم الضمير شائع فى الدراسات الاجتماعية ويقصد به ضابط السلوك ولذلك تسعى هذه المجتمعات إلى تنمية الضمير ويقسمون الضمير إلى ضمير حى وضمير ميت، والضمير الحى هو الذى يوقظ صاحبه ويقوده إلى الصواب حتى لو أخطأ من قبل، اما الضمير الميت فهو الذى يقبل ماليس له ولا يشعر بحرج داخلى بل إن أصحاب الضمائر الميتة يتكاثرون فى المجتمعات العربية كلما اشتد البطش والفساد والاستبداد، فتلح النزعة الفردية الأنانية التى تستبيح كل منفعه وليس لديها كوابح من أخلاق أو قانون أو دين أو تربية وهى المصادر الأساسية لتربية الضمير.

وفى المجتمعات العربية يكون الضمير حارسا للسلوك أو مضيعا له ويكون المجتمع ضابطا صارما للسلوك وقد مرت مصر بالمرحلتين الأولى عندما كان المجتمع ينكر المنكر وكان حساسا تجاه أى سلوك يمس قيمه الأساسية. ولما كان المجتمع المصرى فى تلك المرحلة أقرب إلى الدين، فإن كافة مصادر السلوك كانت نابعة من الدين، وكان العيب الاجتماعى حراما دينيا والحرام عيبا اجتماعيا وكان المجتمع خاصة فى الريف صارما فى رقابة السلوك وكان أعضاؤه يتدخلون لاصلاح ما أعوج من سلوك ويتضامن الناس معه ضد منتهك أعراف المجتمع. كما كانت العقوبات الاجتماعية أشد وطأة على منتهك الأعراف الاجتماعية والفرائض الدينية فلم يجرؤ أحد على ترك صلاة الجمعة مخافة مقاطعة المجتمع له وجلب العار لأسرته وأبنائه، كما لم يجرؤ أحد على الإفطار جهرا فى رمضان وكانت الصبية تدور حوله منذرة "يافاطر رمضان ياخاسر دينك كلبتنا السودة تجرجر مصارينك" وكان هذا الزجر كافيا بل ويتطوع البعض لإهانة من يرتكب هذه المخالفة الدينية الاجتماعية.

ونظرا لمكانة رجال الدين فى مصر منذ الفتح العربى الإسلامى فقد كان هؤلاء هم النخب وهم قادة الحركة الوطنية وهم من يضفى الشرعية على المحتل أو يقود الشعب إلى مقاومته، فكان الحاكم يحرص على إرضائهم طمعا فى رضا الله ماداموا أولياء الله الصالحين، ومن خلف ذلك طمعا فى تهدئة العامة تجاه الحاكم خاصة وأن الناس كانوا يفزعون إلى رحاب الدين كلما جد ما يتذمرون بسببه من الحاكم.وسطر التاريخ لنا سيرة الشيخ العز بن عبد السلام سلطان العلماء.

ومادام الضمير مصدره الدين والمجتمع وقياداته الدينية فإن انقسام السلوك بين الدين المظهرى والسلوك المنافى للدين وتقويض سلطة المجتمع وافساد مؤشراته وقيمه وكذلك انعدام المصداقية فى المؤسسة الدينية بسبب استلحاقها بالسلطة ومظاهر ذلك لا تقع تحت حصر فإن الضمير لا يمكن الاعتماد عليه فى مصر فى ضبط السلوك خاصة بعد أن صار الناس يتعايشون مع المنكر تحت ستار الضرورات تبيح المحظورات كما أن المؤسسة الدينية تقدم لهم التبريرات اللازمة لتطويع الدين للواقع مثل اباحة الرشوة إذا كان للراشى مصلحة مشروعة ومثل تبرير الغلاء فى مصر بأنه قدر الله وأن الصبر عليه من فضائل الدين وأن يأتى هذا التبرير من كبار رجال المؤسسة الدينية لذلك أنتشرت موجة الالحاد مادام الدين كما هو ظاهر بهذه الحالة يبرر ويغطى الفساد وسوء الادارة والجشع. ومعلوم أن الضمير ليس عنصرا محددا للسلوك في الدول الديمقراطية التى يقوم فيها القانون مقام الضمير فالقانون يضبط السلوك ويخول المجتمع سلطة حماية قيامه بالقانون ولذلك فإن اجتماع الضمير والقانون هو الحالة المثالية .

وقد تمسكت التيارات الإسلامية بتربية الضمير وفقا للقيم الإسلامية والاعتماد المطلق على الضمير فكان الواقع والانقسام فى الشخصية محبطاً لهذه الدعوة ونذكر فى هذا المقام أن الدين يعتمد على علاقة خاصة بين الإنسان والخالق ولا يعبأ بالمظاهر مادام الله خلق الإنسان ويعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ولذلك كان الضمير الحى على أساس الدين

المفهوم فهما صحيحا يكفى فى عصور الإسلام الأولى حيث كان الحديث النبوى الشريف يحث المدعى بحق مزعوم على الكف عن ذلك وأن العقاب فى الآخرة ولكن فى العصور المتأخرة وما عانته الشعوب العربية من قهر سياسى على يد المستعمر والحاكم الوطنى وسوء التربية وتوظيف الدين والنفاق والانحراف عن الفهم الصحيح للدين وتسخير المؤسسة الدينية لخدمة الحاكم استنادا إلى اعتقاد الناس بأنها تعظم الآخرة وتزري الدنيا قبل أن يكتشف الناس أن ذلك هدفه أن ينركوها للحاكم إلى آخرة غير مضمونة وهذه هي الترجمة العملية لفصل الدين عن الدنيا والسياسة عن الدين.

ومعنى ذلك أنه إذا خيرنا بين الضمير والقانون فالقانون هو الأهم بشرط أن يكون فى دولة ديمقراطية يعزز سلطة الضمير ويصنع الإنسان السوى ويرده إلى فطرته السليمة فيزدهر ضميره ويستقيم سلوكه مع القانون الذى يضعه مشرع حكيم عليم نزيه منتخب انتخاباً صحيحاً ويكرس نفسه لخدمة التشريع وتطبقه أجهزة قضائية محترمة تجمع بين القاعدتين قاعدة أن المشرع آمر للقاضى وقاعدة أن القاضى يكمل المشرع فيما غفل فيه وذلك كله للمصلحة العليا وليس لمصلحة الحاكم وبطانته.

والنتيجة أنه فى الدول العربية حيث لا يحترم القانون وتنعدم سلطة الضمير عموماً فإن المجتمع ينقرض ويعود إلى ما قبل فكرة المجتمع أفراداً يلتهم القوى منهم الضعيف ويستحوذ القوى على مستحقات المجتمع كله.

ونخلص من ذلك أن غياب الضمير يعوضه القانون ولكن حضور الضمير لا يمكن أن يحكم المجتمع ولا يمكن لمجموعة صغيرة ذات ضمير حى أن تقود المجتمع كله ولا يمكن الركون إلى المقولات التى ثبت أنها ستار للمصلحة وأنها حق أريد به باطل وهو أن الضمير هو الاساس وأن القانون هو كلمة الله بل أن بعض الدول كانت لفرط إسلامها المزعوم تحظر استخدام كلمة القانون ثم زال عنها حساسية أستخدام كلمة القانون وسارت في طريق تسمى الأشياء بأسمائها.

والذى أردت أن أقوله فى هذه المقاله هو أنه إذا أريد للحياة أن تستقيم فى المجتمع العربى فلابد من الحكم الديمقراطى الذى يطلق مصادر تغذية

الضمير ويعود الناس على احترام القانون ويرفع الطابع الشخصى عن المعاملات الرسمية وهذا ما نراه فى الغرب الديمقراطى وما قصده الإمام محمد عبده عندما قال أنه فى فرنسا رأى مسلمين بلا إسلام وفى مصر رأى إسلاما بلا مسلمين ولا تزال الملاحظة صحيحة بعد مضى قرن ونيف.

أثر الاستبداد على طاقة العمل الخيري

أثبتنا في مقال سابق أن المستبد هو الذى يجمع فى يده وبيده الأم والنهي، وانه يمنع عمن لا يسبحون بحمده ويغدق على عباده المختارين المحظوظين ولا يعترف بقانون أو دستور، فكلمته هي القانون بل هي القضاء و القدر، ويغلف أعماله بقوانين وقضاء يغطي نزواته ، فإذا غضب على أحد يعبد اله دونه سلط عليه أجهزته وانتهى الأمر بحكم قضائي بإعدامه بتهم ملفقة ومن خلال أجهزة تلبس لبوس الجهوة وتتصرف تصرف العصابة في زي رجال الدولة .

أكدنا أن الحاكم المستبد فاسد بطبعه لأن الفساد أعلى مراتب الاستبداد ، كما أنه بحاجة إلى أنصار من المؤلفة قلوبهم بأموال الوطن وبقانون يضعه زبانيته المتسترين بأردية البرلمان وطقوسه .

وكان هتلر ينفرد بخاصية أخرى بين زملائه المستبدين، في أنه صار مستبدا برغم البرلمان المنتخب تباركه دعوات الناس الذين وضعوا آمالهم فيه للخلاص من الذل الأوروبي والقهر المالي والسياسي والجرح الغائر في النفس الألمانية الأبية والخلاقة .

ويبدو أن هتلر كان مخلصا جدا ولكنه لم يميز في استخدام وظيفة المستبد ، وكان قطعا يريد ألمانيا فوق الجميع بعد أن كانت تحت أقدام الجميع أو بلغة الفيلسوف المصري هيكل"هزمت ألمانيا هزيمة لا تستحقها وانتصرت فرنسا انتصار لا تستحقه" .

وكنت قد حللت في مقال سابق العلاقة بين الاستبداد والوطنية وأوضحت أن الوطنية استخدمت ومبررا للاستبداد حتى صار الحاكم المستبد هو نبع الوطنية وهو الذى يحكم على وطنية الآخرين

، وخدمتهم للوطن باعتباره المواطن الأول والأوحد هكذا كان حكام مصر منذ ١٩٥٢ وزعماء العروبة النشامى في العراق واليمن وليبيا وسوريا ، ولاشك أن بقية الحكام العرب يشاطرون زملائهم النشامى بأقدار متفاوتة من هذه الوطنية التى يحتكرها الحاكم مع احتكار السلطات والدنيا والآخرة وحياة الشعوب وحرياتها وأكدنا أن الحاكم العربي يتفضل ولا يلتزم ويتطوع بالإحسان ولا يخضع لقانون سوى ضميره الوطنى المثقوب عادة .

في مقالة سابقة عن الإلحاد والاستبداد انطلقنا من نظرية مستقرة وهي أن الإنسان طاقة خير تصل إلى الميل الفطري للبحث عن معبود أوصلته إلى الأوثان ، ثم استبدلها في الحكم المستبد بوثن واحد هو الحاكم المستبد الذى لا يقبل أن يشرك المواطن أحد لو كان الله سبحانه .

ولا يزال حكام مصر الجمهوريين الذين استبدلوا الحكم الأجنبي بنسخة أسوأ من الاستبداد الوطني دفعت الشعوب العربية إلى الحنين إلى عصور الاستعمار الذى كان أكثر حنانا وإنسانية عليهم من بني جلدتهم .

وقد لاحظ ذلك الأستاذ المزروعي فكتب كثيرا عن الحنين الى الاستعمار، ولم تكن كتابات مالك بن نبي عن القابلية للاستعمار إلا وجها أخر من وجوه تمنى الاستعمار الذى رغم كل مساوئه لم يأكل الحرث والنسل والكرامة وبأموال الوطن يجلد أبناء الوطن ويقامر بها لإرضاء نفسه المريضة دون رقيب.

هذه الطاقة الإيمانية والخيرية الكامنة في النفس البشرية يستغلها الحاكم المستبد، بعد أن يجفف مصادر الخير في البلاد، يريد أن تخلص هذه الطاقة له ، فلا عبادة إلا لصنمه ولا إنفاق إلا لوجهه الذى تحدث عنه القران بوضوح " وجوه تعلوها قترة عليها غبرة "

ومطلوب من الناس أن تتصدق على ضحايا الحاكم الذى أفقرهم وأمرضهم واستولى على ما كان يخصص لهم بل وفرض الضرائب عليهم وأوقف الإنتاج وشجع الاستيراد عن طريق زبانيته وأطلق اليد للعبث بالقوة الشرائية للعملة وقدرة الناس على البقاء.

فالحاكم المستبد يستثير مشاعر الخير عند الناس حتى يتبرعوا للجمعيات التى يرأسها أتباعه أو يفرض عليها الإتاوات وتعج بالفساد، ويريد أن تذهب الزكاة وكل التبرعات إليها بعد أن يغلق المنشآت الخيرية التابعة لجمعيات دينية حتى لا تستغل فى الرعاية السياسية لهذه الجماعات لتزوير إرادة المواطن رغم أن الحاكم في مثل هذه البلاد يلجأ الى نفس الأساليب مع الفارق أنه ينفق على التزوير من أموال الدولة والجماعات تنفق عليها من أموال التبرع وكلاهما مذمومـ لان الجماعة الدينية التى تعمل فى مجال الدعوة والأعمال الخيرية يجب ألا تطلب المقابل من الناس، وإلا كانت تجارتها مع الناس وليس مع الله، ثم أنها هي الأخرى تستغل طاقة العمل الخيري والنفوس وتوظفها في أعمال الخير ولكنها تحصل على المقابل السياسي غير المباشر في نهاية المطاف.

الأصل أن الأعمال الخيرية والأهلية وأعمال المجتمع المدني عموما أى غير الرسمي تستجيب لنوازع خيرية وأن يتم تشجيعها بخصم ما يدفعه المواطن من ضرائب، أى تتحمل الدولة قسطا من إجمالي التبرع بقيمة الضريبة التى تتوجه الى العمل الرسمي العام . فلا يجوز أن يعوض المواطن وتستغل طاقة الخير عنده لتعويض ضحايا سور الإدارة الحكومية وسرقة الأقوات تحت عناوين مختلفة.

وقد قرأت إعلانات مؤثرة ونداءات بليغة لبعض شيوخ السلطان الذين يروجون للتبرع بل حتى وللشراء من بعض المؤسسات مثل إعلان فراخ الوطنية الشهيرة الذى روج له الداعية عمرو خالد والذي اعتذر بعد ذلك عن عمله بعد أن نال هذا العمل غير الخيري من الثقة فى دعوته.

ورغم العلاقة الوثيقة بين المناخ الذي يشيعه الاستبداد وبين استغلال وتحفيز مشاعر الخير عند غيره حتى يقوموا بالدور الذي يفترض أن يقوم به حكمة ، إلا أنني أعتقد أن سياسة الإفقار العامة في مصر أضعفت قدرة الناس على توفير ما يزيد عن الحاجة من أجل التبرع وصاروا يطبقون المثل الشائع ى غير المريح "اللي يلزم البيت يحرم على الجامع"، فقد تآكلت قيمة العملة، وصار لزاما أنتزيد مبالغ التبرع من ميزانية منهارة أصلا ونفوس مفعمة بالخير، ولكن تكثر حاجات الحياة وارتفاع تكاليفها أشعرها بالعجز عن التجاوب والتعبير عن عاطفة الخير وشحنته الهائلة في النفوس.

والغريب أن طاقة الأيمان التي يستولى عليها الحاكم المستبد لصالحه تتحاور في النفس مع طاقة العمل الخيري الذى من مصلحته استثارته وتحريضه وربما تطرأ الحاكم المستبد إلى هذا الباب طلبا للمزيد من استنزاف قدرة المواطن على البقاء وليس قطعا عطفا على البائس المطلوب التبرع له،

لأن الاستبداد السياسي يؤدي إلى التكفير الديني أي توجيه طاقة الإيمان بالله إلى المستبد بحجج وأعذار دينية جاهزة ينشط بها مشايخه ممن غرتهم الحياة الدنيا وغرهم بالله الغرور.

والخلاصة أن الاستبداد يشجع على الإنفاق سبيله هو سبيل المحتاجين الذين صنع المستبد حاجتهم كما يدفع إلى عدم القدرة على التبرع وعدم الرغبة فيه حتى لا يحل محل المستبد والوفاء

باحتياجات الناس فيخفف سخطهم ويعبث بعلاقة الإنسان بالخالق ويشوه فضيلة النفاق ويشكك فى أن طهارة الإنفاق ونقاء مقصده، خاصة أن الإعلام المصري يركز على فتاوى ومقولات بأن حالة الإفقار عقاب للناس على عدم إنفاقهم وعدم إيمانهم، كما أن حالة العوز التي يعانيها المصريون قضاء وقدر، بل ان هذه الحالة سببها زيادة السكان مع افتراض ان الإدارة سليمة وفعالة ومخلصة وتكافح الفساد ولا أحد فوق القانون كما يردد بعضهم.

ان طاقة الخير تتدفق بعد أن تخلص الجهود في إصلاح ما تلف ويتولى الأمر خيار أهله فى التخصص والعلم ثم يكون هناك معايير عادلة للثواب والعقاب، وأن يكون الوطن لكل أبنائه وثرواته لصالحهم جميعا دون تمييز لسبب القرب من السلطة أو نقدها وأن يسود العلاقة الشفافية بعد ذلك فقط يصبح للعمل الخيري طعم ولذة وتقربا إلى الله وراحة للضمير فى الوفاء بحق غير القادر على القادر وتنفتح آفاق التميز للمبدعين، وحق البقاء لمن أقعدته الحياة عن السباق فيها، ولا دخل لتخلى السلطة فى محنته.

الطبيعة البشرية للرسل

و تحصينها فى القرآن الكريم

الرسل بشر اصلا و قد اوضح القرآن الكريم هذا الطابع البشرى كما اكد القرآن أن الله قد اختار رسله و هيأهم لحمل الرسالة فالله يعلم حيث يضع رسالته.

ومعنى ذلك أن الرسول له صفة بشرية وصفة نبوية وأن الصفة النبوية تعصم الصفة البشرية من أخطاء البشر كما أكد القرآن الكريم على بشرية الرسل فى مواضع متعددة" وما كان لبشر من قبلك الخلد" وغيرها من الآيات التى تؤكد بشرية الرسل كما اوردت السيرة النبوية الكثير من مظاهر البشرية لجميع الرسل.

ويبدو أن بعض الرسل قد تفاعلت بشريته مع بشرية الشعوب التى بعث اليها وانغمس فى ذلك انغماسا تاما ونسى أنه رسول وأنه فى حفظ الله ورعايته والمثل الصارخ على ذلك هو يونس عليه السلام المعروف بذى النون كما يبدو أن هذا الاندماج فى الطبيعة البشرية هو الذى ميز بين الأنبياء ذوى العزم وبين غيرهم مثلما هو واضح فى قصة لوط.

هؤلاء الأنبياء والرسل بعثوا إلى اقوامهم حتى يبلغوا رسالة الله إليهم ولكن هذه الشعوب رفضت الرسالة وبعضها تمادى فأساء إلى الرسل الذين احتملوا الإساءة فى سبيل الرسالة اعتمادا على أنهم رسل الله و على وعد الله لهم بأنهم الغالبون و هؤلاء الرسل كانوا جميعا موضع استهزاء واستخفاف لهم ولدعوتهم وهددت بالإساءة اليهم وبطردهم مثلما هو واضح فى الصدمة التى عبرت عنها بعض الشعوب من رسل كانوا قبل الرسالة موضع احترامهم وتقديرهم مثل نوح وشعيب ولكن ابلاغهم بالرسالة غير نظرة هذه الشعوب اليهم. وكان ذلك امرا طبيعيا لأن هذه الشعوب تمسكت بعبادة آبائهم وكانت الرسالة تحثهم على تحكيم العقل فيما يعبدون مما أوضحته بشكل جلى قصة ابراهيم مع الاصنام و حواره مع النمرود.

وقد لاحظنا فى السياق القرآنى أن بعض الشعوب استهولت أن يبعث فيهم نفر منهم كان قبل الرسالة من عامتهم فاذا به يفاجئهم برسالة تنس وتسفه تماما عبادتهم و عبادة آبائهم. و قد لاحظنا ايضا فى قصة فرعون مع موسى أن الحوار بينهما انتقل من الحديث عن الاله الى الحديث عن رسول هذا الاله فكان مشهد السحرة حاسما فانتصار موسى على السحرة أكد صدق رسالته وهو أن فرعون ليس هو الله وأن موسى هو رسول الله الحق وأن جميع الرسالات نزلت لكي تعيد هذه الشعوب إلى الحق الذى بدأ به آدم وضل الانسان هذا الطريق خلال الرحلة الطويلة فكانت رسالة كل رسول مؤكدة لما قبله مما يقطع بأنه اله واحد ورسل متعددون ورسالة واحدة، كما أن كل أمة كان لها رسول " وما من أمة إلا خلا يها نذير". وقد شدد القرآن الكريم علي حصر وظيفة الرسل في البلاغ(بشير ونذير).

و رغم أن الله سبحانه وتعالى قد تعهد برعاية أنبيائه وحفظهم من الزلل الا أن القرآن الكريم لفتنا الى نقطة حساسة وهى أن الجانب البشرى فى الرسل الذين تربوا فى هذه الشعوب وخبروا عبادتهم دون أن ينكروها حفظوا انفسهم عن المشاركة فيها ولكنهم لم ينكروها ويحثون الناس على عبادة الله الواحد الأحد إلا بعد أن نزلت الرسالة عليهم ومن الواضح فى آيات القرآن الكريم خاصة الآيتان ٧٤ و ٧٥ من سورة الإسراء لفتتنا إلى أن تفاعل بشرية الرسل مع بشرية اقوامهم وحداثة الرسالة يمكن أن تشكل التباسا عند الرسل . فرغم أن القرآن الكريم زود هؤلاء الرسل بالحجج اللازمة للمجادلة حول الرسالة مع شعوبهم إلى درجة أن بعض الشعوب تحدت الرسل بأن ترى ما انذروهم به من هلاك بل إن بعض الشعوب تمنت أن تهلك على أن تنجو على يد الرسول" الذى فاجأهم بالرسالة مثل قوله تعالى "اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأرسل علينا صاعقة من السماء" .ومن الواضح التناقض فى هذا الخطاب لأنهم إذا كانوا يؤمنون بالله ويستعجلون عذابه فلماذا يكذبون رسوله؟. وهذه الواقعة تشبه اشارة لطيفة فى القرآن الكريم مشابهة تشير إلى أن المكذبين يحسدون المؤمنين ويطلبون من الله الذي كذبوا بوجوده ألا يجعل فى قلوبهم غلا للذين آمنوا والأولى بهم أن يؤمنوا حتى لا يحتاجون إلى الغل وإلى دعوة الله لأن يصرف عنهم هذا الغل.

هذه لفتة إنسانية حقيقة تؤكد صدق قوله تعالى "ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه".

غير أن القرآن لفتنا إلي حقيقة أخطر وهى فتنة الأنبياء بشعوبهم .فقد تحرز القرآن الكريم لتأثر الأنبياء بشعوبهم و فتنتهم فى رسالاتهم فأراد الله أن يحصن رسله حتى يأخذوا الرسالة بقوة وعزم وإيمان وألا يضعفوا أو يهنوا فى مواجهة هذا الاختبار و قد أشارت الآيتان ٧٤ و ٧٥ من سورة الإسراء إلى هذه اللفتة بقول الله سبحانه و تعالى "و لولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا إذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا" ثم اردفت الآية ٧٦ بتحذير الرسول من استفزاز هذه الشعوب له بقوله تعالى "وإن كادوا يستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلفك إلا قليلا".وقد طمأنه الله إلي أذي قومه بقوله تعالي" والله يعصمك من الناس".

صحيح أن كل الأنبياء والرسل كانوا يشعرون بأن الله اختارهم وحصنهم ضد هذه الفتنة وأن مهمتهم ثقيلة مما اوضحته الآية الكريمة فى شأن محمد صلى الله عليه وسلم "إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا" فهي الرسالة الخاتم والنبي آخر ركب الرسل من السماء الى الارض وأنه المكمل للبناء الايمانى وأنه برسالته اكتملت رسالة الله إلى الارض فى قوله تعالى "اليوم اكملت لكم دينكم". صحيح أنه لم يحدث أن فتن نبى فى هذا الاختبار و لكن الله ارشدنا فى هذه الآيات إلى أنه يحصن انبياءه لفتنة محتملة و أن هذا الخطاب كان بينه و بين نبيه حيث اخبر الله نبيه بأنه كاد أن يركن إلى قومه فنبهه الى ذلك وإلى أن رسلنا هم الغالبون وأنه يبلغ الحق من ربه وأن مهمته تقتصر على البلاغ وليس الهداية وأنه يبلغ ما انزل اليه بأوضح العبارات وبقوة الإيمان والثقة فى الرسالة والمرسل وفى أنه الرسول المكلف من الله . كذلك نشير الى ان الله سبحانه و فى سبيل اعداد رسله لهذه المهام اراد ان يثبتهم وأن يستوثق منهم فأخذ عليهم عهدا بأنه هو الله فى قوله تعالى "واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب و حكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولا ولتنصرنه"(الآية ٨١ من سورة آل عمران).

الوحدانية أبرز ركائز القرآن الكريم

يقوم القرآن الكريم على عدد من الركائز الأساسية التى تشكل الإطار العام للقرآن الكريم ومركزها الوحدانية ومايتفرع عنها.وسوف نخصص لكل ركيزة مقالا .

الركيزة الأولى والأساسية هى الوحدانية ولذلك حفلت آيات الذكر بتأكيد وحدانية الله بدءا بالآية التى يشهد الله فيها بوحدانيته. ويترتب على الوحدانية الكثير من النتائج على أساس أن الوحدانية تعنى أن الله وحده لا شريك له الخالق المهيمن الرزاق العدل وكافة أسماء الله الحسني. والوحدانية تعنى الإطلاق والقدرة والقوة والتصرف والحساب والمصير.والوحدانية تعني أن الله ليس كمثله شيء وهو الأول والآخر وهو المهيمن في الخلق والرزق والحساب لاشريك له ولامعني للشرك والكفر والإلحاد ولامعني للشك ي أي من أسماء الله الحسني وهو الجبار المتكبر المتعال وهو القاهر فوق عباده يغلم خائنة الأعين وماتخفي الصدور يدبر الأمر يمهل ةلايهمل وهو العزيز الحكيم الرحيم الغفار وهو العادل والمحيي والمميث والباعث للحساب يسأل ولايسأل الغني الحميد.

وقد رد القرآن الكريم على كل الإدعاءات الشرك والإلحاد. وكذلك تعنى الوحدانية أن الله هو الأول والآخر الظاهر والباطن ويعلم ما خائنة الأعين وماتخفى الصدور ويعلم ما تغيض به الأرحام وما تزداد وكما يعلم ما يسوسه به أنفسنا .

كذلك أكد القرآن الكريم أن وحدانية الله هى التى ترتب النتائج ولذلك فإن صدق الرسالات والكتب السماوية ليس قرينة وحدها على وحدانية الله أنما وحدانية الله هى الأساس وأن هذه الوحدانية تؤدى الى العلاقة الخاصة بين الخالق والمخلوق كما تؤدى الى الثقة فى الرزاق ومن بيده الأمر ولذلك كان الأنبياء والرسل مجرد مبلغين ومنذرين كما أشار القرآن الكريم الى أن الله غنى عن

العالمين والمخلوق فقير الى الخالق وأن هؤلاء الرسل بشر فى الأساس ولكن الله أختارهم رسلا فأصبحوا يحملون صفتين الأولى هى الصفة البشرية بكل ما فيها من سلبيات ونقائص والصفة الثانية هى النبوة التى تمنع ظهور هذه السلبيات على الرسل والأنبياء ومن نسى منهم نبوته واستغرقته بشريته عند الشدائد صار من غير أولي العزم بنص القرآن ولكننا لا نستطيع أن نحدد بأنفسنا أولى العزم والذين فقدوا العزم الله يعلم حيث يضع رسالته كما أن الله سبحانه وتعالى أمرنا بالأ نفرق بين رسله وأمرنا بأن نؤمن بها جميعا مادامت محطات في طريق اكتمال الدين. وتطبيقا لذلك كان للقرآن الكريم موقف حاسم ممن تجرؤوا على الوحدانية وكذلك ممن افتروا على بعض أنبيائه وادعوا عليهم بالشرك وكان المثال الظاهر هو عيسى عليه السلام الذى احتد الخطاب القرآنى كلما ورد الافتراء عليه فكان التعنيف موجها لمن افتروا وما كان السؤال لعيسى ابن مريم عن هذا الافتراء الذى وقع عليه إلا توبيخا لمن افتري وكان ذلك واضحا فى قوله تعالى" يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس أتخذونى وأمى الهين من دون الله قال سبحانك أن كنت قولته فقد علمته ..."إلي آخر الآية.